وزارة التعليم العالي والبحث العالي
جامعـــة أبي بكـــر بلقايـــد * تلمسان *
الملحقة الجامعية بمغنيـــة
قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر
تخصص: أدب عربي

النزعة التأملية بين جبران خليل جبران وأبي القاسم الشابي

إعداد الطالبة:
عوريبة عتيقة

تحت إشراف:
د. بكاي محمد

أعضاء اللجنة المناقشة:

- د. محمد بكاي — مشرفا ومقررا ، أستاذ محاضر –ب–
- د. بن عدي نورية — رئيسة، أستاذة محاضرة –ب–
- د. وهيب وهيبة — ممتحنا، أستاذة محاضرة –ب–

السنة الجامعية : 2016/2015

اهداء

بسم الله الرحمن الرحيم و الصلام و السلام على سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين , ومن صار على هديه إلى يوم الدين , أما بعد :

أهدي ثمرة جهدي إلى من قال الله فيهما { وَقَضَى رَبُّكَ ألاّ تعْبدُوا إلآ إيّاه وبالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا }" سورة الإسراء 22,23."

إلى مصدر الحنان منبع الآمان ومصدر الخير والإطمئنان إلى من ربّتني وأحسنت تربيتي , وسهرت على رعايتي , وتعبت من أجلي وانتظرت نجاحي , إلى قرّة عيني" أمي الحبيبة" أطال الله عمرها .

إلى من ضحّى بماله وبما يملك لتوفير الراحة والسعادة لي , إلى من علّمني حبّ العلم والمعرفة , إلى من أحسن تأديبي إلى سرّ نجاحي وأملي في الحياة " أبي العزيز " حفظه الله وأطال عمره .

إلى زوجي ومن ساعدني فيا نجاز مذكرتي يوسف "وإلى فلذة كبدي , إبني الغالي "الياس "

إلى عائلة "عتوم" أينما وجدت .

إلى من قاسموني حلوة الحياة ومرّها , إلى أخي العزيز "واسيني ", أتمنّى له التوفيق في حياته.

إلى أختي الكريمة نعيمة وعائلتها

إلى أختي الحبيبة مغنية وعائلتها

إلى جدتي وأعمامي حفظهم الله

إلى من لمست معهم نبل الأحاسيس ومعنى الصداقة إليكم صديقاتي الأعزاء : سليمة , أمال , أمينة , شهرزاد , دليلة , راضية... ".

إلى الأستاد الدكتور بكاي محمد الذي ساعدني في انجاز هذا العمل ومكنني من اتمامه

وإلى الأساتدة المناقشين جزاهم الله خيرا الدكتورة , نورية بن عدي , والدكتورة وهيب وهيبة .

وإلى كل من يعرفني ويتمنى لي النجاح

وغليكم كلكم أهدي ثمرة هذا الجهد .

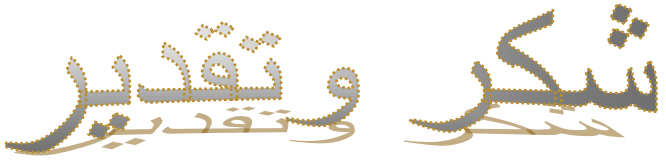

عمـلا بقوله تعالى:

« لئـن شكـرتم لأزيـدنكـم »

أشكر الله العلي القدير الذي وفقني في إنجاز هذا البحث المتواضع والتقدم بالشكر الجزيل والامتنان الكبير للأستاذ الكريم الدكتور بكاي محمد الذي أشرف على بحثي هذا ولم يبخل علي بإرشاداته ونصائحه القيمة .

كما أتقدم بالشكر إلى جميع الأساتذة، والى كل من ساعدني من قريب أومن بعيد وإلى كل من ساهم في إنجاز هذا البحث المتواضع.

لنخلص في نهاية هذه الكلمة بالتوجه بالشكر والتقدير والامتنان الكثير إلى جميع معلّمينا وأساتذتنا بدءا بأولئك الذين علّموني أولى الحروف إلى من سلّموني الأمانة حتى أكون خير خلف لخير سلف.

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين, سيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم , أما بعد :

تُعدّ النزعة التأملية احدى النزعات الوجودية التي ترتبط بالكون والوجود , وهي طفرة في عالم الفكر والإحساس , بعثت من جديد لغة الإشراق والتأمل الباطني والبحث عن الأسرار وما خلف الأشياء من عوالم مبهمة ,لا يلج غموضها إلا من أوتي حظاً غير ضئيل من اللغة الكونية , وقد تميّز العديد من أدباء العصر الحديث بهذه النزعة وخاصة أدباء المهجر وهم المنبع الرئيسي لهذه النزعة , وقد تأثر بهم العديد ممّا جاء بعدهم , وتكمن أهمية النزعة التأملية في الكشف عن أصالة الأديب وجدّية أدبه وتكشف عن أعماقه المتسمة بالإنسانية الرحبة وصدق الشعور والتي تبتعد عن الضحالة والتكلف , ولهذا اتجهنا إلى البحث في موضوع النزعة التأملية بين جبران خليل جبران وأبي القاسم الشابي, وللتعمق أكثر في هذا البحث قمنا بطرح الإشكال الآتي :ماهي النزعة التأملية ؟ وماهي أهم جوانبها ؟, من هو جبران خليل جبران ؟ وماهي فلسفته الوجودية ؟, من هو أبي القاسم الشابي ؟ وماهي أفكاره الفلسفية ؟, وماهي أوجه التشابه والاختلاف بين الأديبين ؟.

وللإجابة عن هذه الإشكالية ارتسمنا خطة كانت مقسمة إلى مقدمة , مدخل وثلاث فصول, وخاتمة , وقد كان المدخل عبارة عن دراسة تمهيدية لقضية النزعة التأملية , وتطرقنا في الفصل الأول المعنون بالنزعة التأملية عند جبران خليل جبران , وقسمناه إلى مبحثين : المبحث الأول كان عبارة عن حوصلة لكلّ ما يتعلّق بالأديب جبران خليل جبران من سيرة ذاتية وحياة أدبية , والمبحث الثاني تحدثنا فيه عن نزعته التأملية وأفكاره الوجودية في الحياة وقدمنا أمثلة عن ذلك.

والفصل الثاني جاء موسوما : بأبي القاسم الشابي وتأملاته الفلسفية , وهو الآخر قسمناه إلى مبحثين, المبحث الأول ألممنا فيه بالشابي من مولد ونشأة ومرض ووفاة, ومؤلفات ,وأدب وأسلوب, والمبحث الثاني قد أردفنا فيه تأملاته الفلسفية الوجودية وسياقاتها.

أما الفصل الثالث والأخير وهو دراسة مقارنة بين النزعة التأملية لجبران والشابي, وقد خصناه للكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بين نزعة كل أديب في كلّ ما يتعلق بالأفكار والأساليب الفنية ,وختمنا بحثنا بخاتمة كانت عبارة عن أهم النتائج التي تحصلنا عليها.

أما فيما يتعلق بالمنهج فقد انتهجنا المنهج الوصفي القائم على التحليل ,وذلك نظرا لطبيعة الموضوع التي تفرض علينا الوصف والتحليل وقد اعتمدنا على عدة مصادر ومراجع كانت سندا لنا في اتمام بحثنا , أهمها لسان العرب لابن منظور , المجموعة الكاملة لجبران خليل جبران قدم لها وأشرف على تنميقها ميخائيل نعيمة , الجامع في تاريخ الأدب العربي , الأدب الحديث لحنّا الفاخوري , أدب المهجر لصابر عبد الدايم , بين جبران والشابي لمحمد خليفة التليسي , وديوان أغاني الحياة لأبي القاسم الشابي اعداد أبو القاسم محمد كرّو.

وبعون الله وحفظه لم تواجهني أيّ صعوبات.

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف الذي أعاننا في انجاز هذا البحث , وللأساتذة المناقشين الذين تكبدوا عناء مناقشتنا هذا البحث.

مدخل:
ماهية النّزعة التأمّلية

مدخـل: ماهيـة النزعـة التأمُّليـة

يعتبر التأمّل ثمرة التفكير العميق الّتي يمتاز بها الإنسان، وشكلا من أشكال النشاط الذهني الذي يقوم على توجيه التفكير نحو موضوع أو شيء، أو الاستغراق فيه بتركيز مكثف يبعد المؤثرات الداخلية والخارجية التي تسبب الشرود و التشتت، ويهدف التأمل إلى تحقيق الطمأنينة النفسية والصفاء الذهني و الإبداع الفكري.

وظاهرة التأمل تلعب دورا بارزا في الأدب العربي الحديث حيث أنها تسيطر على روح الأدباء وتسري في عروقهم و تكاد تكون وجها مميزا لهذا الأدب إذ تضعه في قائمة خاصة حينما تتفاضل الآداب و تتنازع حق البقاء .

وقد تناول موضوع التأمل العديد من الدراسات نظرا لأهميته الكبيرة و التي تكمن في الفلسفة الوجودية لدى دباء العصر الحديث و كيفية تفاعلهم معها.

1- تعريف التأمّل:

ولدراسة هذا الموضوع بداية لابدّ من تحديد معنى التأمل في اللغة , فقد ورد في معجم لسان العرب عن ابن منظور تحت كلمة "أَمَلَ", الأمَلْ و الأَمْل والإِمْل:, والجمع آمال وأَمَلْته آمُله وقد أَمَلَه يَأمله أملاً المصدر عن ابن الجني وأمّله تأميلاً .

ويقال: أمل ,حُيْرَه يأمله أملاً , وما أطول امليْه من الأمل أي أمْله و إنه لطويل الإمْلة أي التأميل عن اللحياني مثل الجلسة والرّكبة .

التأمل :التشبث و تأملت الشيء أي نظرت إليه مستثبتا له. وتأمّل الرجل تبث في الأمر والنظر[1].

[1] لسان العرب ,ابن منظور ,ج1, دار صادر ,بيروت, د/ط , 2003 ,ص 156.

مدخل:
ماهية النّزعة التأمّلية

2-وجاء أيضا في قاموس المحيط باب اللام فصل الهمزة تحت مادة أَمَلَ يقول ابن سيّدة "الأمل كجبل رجاه و ما أطول إملته بالكسر , أمله أو تأميله و تأمّل :تلبث في الأمر و النظر.1

3- وفي المصباح المنير جاء تحت مادّة : أملته أملاً, يقول صاحبه أحمد بن محمد الفيومي المقرّي ,أملته أملاً من باب طلب؛ ترقبته و أكتر ما يستبعد حصوله .

قال كعب بن زهير " أرجو وأمل ان تدنو مودتها ".

ومن عزم السفر الى بلد بعيد يقول "أملت الوصول " ولا يقول "طمعت" إلا اذا قرب منها وتأمّلت الشيء اذا تدبرته ,وهو اعادتك النظر فيه مرة بعد اخرى حتى تعرف2.

أما المعنى الاصطلاحي فيبرز في أنّ التأمّل, هو تلك التجربة التأملية التي يخوضها الأديب ليعطينا من خلالها صورة صادقة تعبر عن أفكاره ومشاعره ونبوءاته وتصوره للعالم من حوله والوقوف على مدى توافقه مع من حوله من قيم أو رفضه لها وصراعه في سبيل ايجاد عالم جديد مبدع3.

ويعرف الناقد الأوربي "روستريفور هاملتون" : التأمّل ويقول " التأمّل هو تأمّل يتميّز بالإعجاب"4

كما أنه جعل التأمل مرادف للجمال إذ يقول : " ان التجربة الجمالية الكاملة هي تجربة تأمل لا يشتت فبها اهتمامنا فيتحول إلى ما هو عملي سواء كان ذلك ايحاء بحلول السعادة وتأكيد لأهمية

---

[1] القاموس المحيط ,ج1مجد الدين فيروز أبادي , مطبعة السعادة , مصر , د,/ط , د/س ,ص320.

[2] أدب المهجر, دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية في الادب المهجر, صابر عبد الدايم, دار المعارف, القاهرة, مصر, ط1, 1993, ص 31

[3] ادب المهجر ,دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية في الادب المهجر , صابر عبد الدايم ,ص34.

[4] الشعر و التأمل, روست ويفور هاملتون , ترجمة مصطفى بدوي, مراجعة سهير قلماوي , المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة و النشر , مصر ,ط1 ,1993, ص115.

مدخل:
ماهية النّزعة التأمّلية

واجب خلقي أو يتحول الى ما هو فكري وتتضمن هنا كلمة فكري كل ضروب النشاط المتواضعة التي يمارسها العقل القلق" 1

كما يعرفه أيضا الناقد أنيس الخوري المقدسي فيقول " يراد بالأدب التأملي كل ما ينعكس عن تأمل وتدبر الانسان في الحياة و الطبيعة و ما بعدها "2 و يقول ايضا" التأمل غايته هي التعبير عن ما تثيره هذه المجردات في النفس من خوالج وصور خيالية الأول محلل منطقي, و الثاني مصور خيالي".3

وقيل أيضا الأدب التأمّلي هو ثمرة امتزاج الفكر بالخيال ,حيث يغيب الإنسان عن ذاته الحسية في ذاته الروحية فيشخّص الطبيعة و يرسم منها و يبث فيها من ذاته رؤى .

والأدب التأمّلي هو الاعتماد على حسن التفكير المبنى على سعة الاضطلاع وفرق كبير بين أن يكون التأمّل من منظور شخصي يغلب عليه الوجدان وبين ان يكون ثمرة تجربة يعنيها العقل , فالأّول يكون أقل تأثيرا في النفس و الوجدان من الثاني , لأنّ الثاني هو تجربة عاشها المتأمّل ووتغلغلت في أعماقه فبالطبع تكون أكثر تأثيرا.4

كما أنّ التأّمّل لا يقتصر على ما تثيره مشاهد الكون الخارجية المتعددة بل يمكننا أن نأخذ موقفا جماليا إزاء الموضوعات الحسيَة ففي كلَ مجالات الحياة يأتي الوقت الذي نتحرر فيه من المصلحة سواء كان ذلك عن تصادم نتيجة ضغط الظروف وحين إذن نهتم بالموضوع ذاته 5.

و التأمّل أيضا هو الشعور الموحد الذّي يتميز بدرجة كبيرة من التركيب و الذي يظهر من خلال الموقف الذاتي المتطور للشخص المدرك.1

---

[1] الشعر و التأمل, روست ويفور هاملتون ,ص 124.

[2] مختارات سائرة من روائع الأدب ,أنيس الخوري المقدسي ,دار العلم للملاين , بيروت ,لبنان,ط5, 1981,ص103.

[3] الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث , انيس الخوري المقدسي , دار العلم للملايين , بيروت ,لبنان, ط2,1960, ص 323.

[4] الأدب التأملي عند المنفلوطي , دراسة في نصوص النظرات و العبرات , وحدة أمين الجرذي , دار الفكر اللبناني ,بيروت ,لبنان ط1, 2005,ص 19و21.

[5] الشعر والتأمل ,روستريفورهاملتون ,ترجمة مصطفي بدوي , مراجعة سهير قلماوي ,, المؤسسة العامة للتأليف والنشر , مصر , ط1, 1993ص 112

2- نشأة مصطلح التأمل و تطوره:

تبدأ الارهاصات الأولى للتيار التأمّلي مع ظهور الإسلام نظرا لتغير الشعر بصورة ملحوظة تكاد تخفي صورة الشاعر القبلية أو شاعر العصر الجاهلي الذي يعنى بوصف المحسوسات التي يراها أمامه في الصحراء المفتوحة والتي ليس فيها أي اثر من اثار الفكر و العقل لان الشعر الجاهلي شعر حسي غليظ و بظهور الاسلام و القران الكريم انشغلت عقول الناس وعواطفهم لأنّ القرآن أروع نموذج للتأمّل الخلاق المثمر والتفكر الجيّد في ظواهر الكون وبواطنه وفي النفس الانسانية والحياة والبقاء والعدم وكل ما يموج به الوجدان البشري من انفعالات.2

وفي العصر العباسي ومع اختلاط العرب بغيرهم من الأمم واقتباسهم لثقافات أجنبية جديدة وتعرفهم على الفلسفة وانتشارها بينهم – وما الفلسفة إلا تأمل وتدبر– , فقد شهد التيار التأملي تطورا كبيرا لكن تأثير الفلسفة في الأدب لم يظهر إلا في نواحي قليلة ومعينة وقد كان هذا التأثير كما يقول دي يور :"سطحيا في أغلب الأحوال ويتجلى هذا بنوع خاص فيما روي عن الشعراء من أقوال تدل على روح الشك , ومن السخرية بأقدس الأشياء كما تجلى في تمجيدهم للشهوات الحسية , ولكننا الى جانب هذا نجد حكما وتفكيرا جديا وأراء صوفية تدخل جميعا في الشعر العربي ".3وهذا صحيح لأن ادباء هذا العصر كانوا مهتمين أكثر بالجوانب الحسية , أي ما هو موجود أضف الى ذلك غرابة معتقداتهم .

---

[1] الشعر و التأمل, روست يفور هاملتون, ترجمة مصطفى بدوي , مراجعة سهير قلماوي , ص125.

[2] –ينظر , أدب المهجر , صابر عبد الدايم , ص 47 , 48.

[3] ينظر , تاريخ الفلسفة في الإسلام , دي يور , ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة , تقديم مصطفى لبيب , المركز القومي للترجمة , القاهرة ,د .ط,2010, ص 76.

مدخل:
ماهية النّزعة التأمّلية

ومن بين أهم الأدباء التأمليين في هذا العصر نجد المتنبي وأبو العلاء المعري وابن سينا و الغزالي والنفري والفارابي وابن طفيل النووي ,اضافة الى أننا نجد الشعراء الصوفيون الذين أوقفوا حياتهم على التأمل وجعلوا من حب الإله فلسفة خاصة بهم كابن الفارض.

أما العصر الحديث فهو يعتبر اللبنة الأساسية لظهور التيار التأملي وتطوره وذلك يعود إلى ظهور المدارس الشعرية و المدارس النقدية وفي مقدمة هذه المدارس مدرسة الديوان ومدرسة المهجر .

وقد آمن اصحاب المدرستين بأن الشعر ليس مجرد وصف أو نقل أو محاكاة بل هو على الدوام قوة مبدعة خلاقة وهو يبدع من ناحيتين :إنه يبدع أو يصنع الأشياء لم تكن موجودة من قبل وهو يبدع كذلك بالمعنى الأعمق لهذه الكلمة ,عندما يصقل العنصر الخلاق الكامن في التجربة نفسها ويسمو به.

وقد أصبح للعقل دور كبير في انجاح التجربة الشعرية بل أصبح لزاما على الشعراء أن يتسلحوا بكل ما أنتجه العصر من نظريات علمية وفلسفية و اقتصادية حتى يقاوموا غرور العلم وطغيان المادة عليهم أن يكتشفوا أبعاد جديدة للغتهم ومشاعرهم وأن لا يتركوها متخلفة عن إيقاع العصر ونبضه الحاد , وربما كانت قصة الشعر الحديث والشعر المهجر هي قصة اكتشاف الباطن واستعمار الاعماق [1], فأصبح شعرهم متسما بالتأمل مثري للعقل الإنساني والشخصية الإنسانية بحيث يمكّن الإنسان من إدراك الحقيقة والإحساس والتصرف طبقا لمقتضياتها .[2]

3- بواعث التأمّل

ينبني التيّار التأمّلي على عدة بواعث كانت الدافع الأساسي وراء ظهور هذا التيار وتمثل هذه البواعث في عدة ظروف أحاطت بأدباء العصر الحديث وخاصة أدباء المهجر وذلك لأن الانطلاقة الرئيسية لهذا التيار في هذا العصر كانت من المهجر وحتى وإن وجد أدباء تأملين غير مهجرين فهم

[1] – ينظر ,أدب المهجر دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية في الأدب المهجري , صابر عبد الدايم دار المعارف , القاهرة , مصر , ط1, 1993م , ص 52و 54.

[2] – في نقد الشعر , محمد الربيعي , ص 42,43 , نقلا عن صابر عبد الدايم في كتابه أدب المهجر ص59.

مدخل:
ماهية النّزعة التأمّلية

بالتأكيد قد تأثروا بأفكار ورؤى المهجرين .ولقد جمعت بين هؤلاء عدة ظروف عامة وإن كانت هذه الظروف تختلف من أديب إلى آخر فهي تتشابه وتمثل شرنقة واحدة نعم فيها هؤلاء الأدباء بأسوار حريرية انتظارا لزمن التحوّل والتحليق في عالم الرحب حيث يصيرون فراشات تمتص رحيق الطبيعة و تهبّ العالم أعذب ما وعى من معاني الأمل والألم[1], ومن بين أهم هذه البواعث نجد:

أولا: التكوين النفسي

يقسم الدكتور السويسري "يونج" الناس من حيث أحوالهم المزاجية الى طائفتين الطائفة الانبساطية أو العملية ,والطائفة الانكماشية أو التأملية ,فأفراد الطائفة الأولى يميلون إلى النشاط والعمل ولا تهدأ أنفسهم إلا إذا حققوا رغباتهم , أما أفراد الطائفة الثانية فيميلون إلى الانكماش ويكتفون بالتأمّل والبحث وجمع العلوم والمعارف والتأليف والتدريس ويسلكون في الغالب مسلك الزهد والتقشف في الحياة .[2]

وبتأمل حياة المهجرين فإن أغلبهم يميلون إلى الانكماش , والتأمل فهم من الطائفة الثانية ويظهر ذلك جليا في دعوة جبران إلى حياة الغاب بعيدا عن زحام المدينة وهروب أبي ماضي من القصور إلى القفر و امتطاء معلوف بساط الريح ليرى العالم من فوق ويكشف أبعادا جديدة يغير بها عالمه الذي أصبح رمزا للعبودية والمهانة ,ونعيمة الذي آثر الصمت والعزلة واعتصم بالجبل ووصفه ببراعة وحب وثورة على التنين الذي يرمز إلى نيويورك .[3]

ومن هذه الظروف أخد هؤلاء الأدباء يطلقون شرارتهم الفكرية التي تمثل تجربتهم ونفسيتهم أصدق تمثيل .وهم برغم هذا لم يتذوقوا ا ثمارهم الطيبة التي قدموها للناس وضحوا بسعادتهم مقابل

---

[1] -ينظر ,أدب المهجر , صابر عبد الدايم ص 67.

[2] -دراسة في علم النفس الأدبي , حامد عبد القادر , المطبعة النموذجية , القاهرة , الحلمية الجديدة , ط1, د, س , ص7 11, 118.

[3] المراحل , ميخائل نعيمة , ص 703 نقلا عن صابر عبد الدايم في كتابه أدب المهجر ص 68.

إسعاد الآخرين 1,فالفنان وظيفته صعبة يكون من اللازم له في بعض الأحيان أن يضحي بالسعادة , وبكل ما من شأنه أن يجعل الحياة محببة إلى الكائن البشري العادي .2

إذن الجانب النفسي له دور كبير في تحقيق التأمل والإبداع الذي ينتج عنه أفكار ومواضيع رائعة.

ثانيا: الغربة والتوق إلى الانعتاق من القيود المادية والنفسية " وهذا الباعث يختص بدرجة كبيرة بأدباء المهجر ".

لقد كان المهجرين يعيشون في بيئة هم عنها جدّ غرباء وكانوا يعانون من غربة الحس والفكر والروح , وكانوا يشعرون بالاختناق من هذا الجو الذي تتحكم فيه الآلة ويريدون الانطلاق إلى عالمهم الروحي المثالي واصطدامهم بالمجتمع الجديد بما يضج فيه من آلات وصراع رهيب يشدّ العقول إلى بريق المادة فيُنسي الناس كلّ نبضة حبّ وخفقة حنان والانتماء لكل عاطفة إنسانية خالدة ...كل هذه الضغوط أدت إلى نفور هؤلاء الأدباء من مواصفات هذا المجتمع الديناميكي وإطلاق العنان للعاطفة الإنسانية والوجدان الصافي .

كما أنهم في غربتهم شعروا بالحنين إلى الماضي, هذا الحنين يعتبر من أهم العوامل التي أدت إلى اتقاد جدوة التأمل ,كما أن روعة الموقف التأملي تكون عندما ننسى ضغوط المجتمع ونرتقي إلى كل ما هو وجداني وعاطفي ونسمو بروحنا إلى آفاق رحيبة ,ويكون ايضا حينما نفكر في أيامنا الماضية لكي نعيش الماضي من جديد , لا لكي نبكي على عدم استغلالنا لوقتنا , أو لنستمد من الماضي دروسا تفيدنا في المستقبل.3

[1] ينظر أدب المهجر , صابر عبد الدايم ص 68.

[2] –التفسير النفسي للأدب , عز الدين اسماعيل , دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع , القاهرة ط4 , 1981, ص 46.

[3] –ينظر , الشعر والتأمل , ريستريفور هاملتون , ترجمة مصطفى بدوي , مراجعة سهير قلماوي , المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر , مصر , ط1 , 1993, ص 117 .

ويظهر ذلك جليا حينما يعتقد اليا أبي ماضي أن نفحة الناي على سكينة النفس ونغمة العود مع هدأة الروح قد تبلغ بسامعها أو بعازفها إلى أبواب السماء مالا تبلغه بروح نيويورك وناطحات سحابها[1], إذ يقول :

نيويورْك يَا ذاتَ البُروجِ التي سمتْ وطالَتْ كيْ تمسّ الغَمامَ

لن تبلغِي والله بابَ السماءِ إلاّ بأوتارِ كنارِ الشّامِ[2]

ثالثا: الطبيعة الشرقية

تعتبر الطبيعة الشرقية من أهم البواعث التي أدت بالمهجرين الى التأمل , فطبيعتهم الشرقية التي تحمل كل ما للشرق من خصائص وسمات وصفات وراثية وسيكولوجية نمت وترعرعت مع البدرات الأولى للمكونات المختلفة لهؤلاء الأدباء .

وشرقيون يميلون إلى التأمل أكثر من الغربيين وذلك لروحهم التي سرت فيها شرايين البداوة والشعور الفطري الفسيح الذي يتجول فيما حوله ويسافر في الأفاق يقرأ لوحة الوجود ,لا تشغله الآلة ولضجيجها , ومما يقودنا إلى استسلام منابع هذه الفطرة الشرقية بكاء القروي عند ترتيله القرآن الكريم وقوله "ويل لكم أيها المسلمون ,أتذل أمة بين يديها هذا الكنز الثمين , ويستعمر شعب يملك هذه القوة والعظمة ".[3]

فالطبيعة الشرقية بهدوئها وجمالها الخلاب , هي أجمل ما يكون ,إذ تجعل المتأمل فيها يعيش أجمل إحساس وأجمل شعور.

---

[1] –ينظر الشعر العربي في المهجر , محمد عبد الغني حسن , مكتبة الخانجي , القاهرة , مصر . د, ط 1955, ص 49

[2] – الخمائل , اليا أبي ماضي , دار العلم للملايين, بيروت , ط17 , 1987م , ص 103

[3] –ينظر , أدب المهجر , دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية في الأدب المهجري , صابر عبد الدايم , دار المعارف القاهرة , مصر ط1 , 1993 , ص 71, 72.

رابعا: الروح الدينية المتأصلة في نفوسهم

إن التأمل هو المؤشر الذي يشير إلى أرقى مدارك الإنسان عامة , حيث لا يصبح آلة فتوغرافية تنقل الأشياء كما هي , والدين يدفعنا دائما إلى الغوص في الأعماق للوصول إلى جوهر الأشياء, والقرآن الكريم يدعونا في مواضع كثيرة إلى التفكير فيما حولنا , وفي مظاهر الكون وفي أنفسنا وفي تاريخ الأمم السابقة .

وإذا كان التأمل هو من سمات أدباء المهجر فإن ذلك يرجع إلى روحهم الدينية العميقة المتصوفة الايجابية مسلمون منهم و مسيحيون [1], وذلك لما تحمل لهم من تفهم حقيقي لحاجات الإنسان وحلول مريحة لمشاكله وهمومه ....., والروح الدينية التي تمتع بها هؤلاء المهاجرون مع بعدهم عن التعصب ترجع بهم إلى النشأة الأولى وطريقة التعليم ... فقد كان أقرب مثال لطريقة التعليم في القرى اللبنانية في أواخر القرن التاسع عشر هو نظام الكتاتيب الذي كان شائعا في الآونة نفسها وفيما بعدها في القرية المصرية [2]. وذلك لأن ليس هناك مكان أصدق وأقدر من الكتاتيب على ترسيخ الروح الدينية في نفوس الأطفال حتى ينشؤوا نشأة صادقة مليئة بالدين والإيمان .

فالروح الدينية الإسلامية أو المسيحية التي نشأت في صدور هؤلاء الأدباء كان لها الفضل الكبير في طرح أفكارهم التأملية الرائعة .

خامسا: الرؤية المأساوية للحياة

تمتل الرؤية المأساوية للحياة عند الأدباء التأمليين أكثر البواعث تأثيرا فيهم ,والتي جعلتهم يعيشون نزعة تأملية خالصة , إذ نجد أن كثيرا من العوامل النفسية التي تدفع الانسان الى الانتاج الفني بوجه عام والأدبي بوجه خاص , مردّه إلى رغبة الإنسان في التعبير عن الظروف المحيطة به وتصوير آلام النفس وتحليلها ولا شك المنظور الذي شهد من خلاله هؤلاء الأدباء حياتهم منظور مأساوي يحتاج إلى

[1] – أدب المهجر , صابر عبد الدايم , ص 75

[2] – النثر المهجري , عبد الكريم الأشتر , ص 29, نقلا عن صابر عبد الدايم في كتابه المهجر, ص80.

استبطان ذاتي للكشف عن جوهر ما عانوه من صراع وآلام وحزن كان قدرهم الذي فرضته الظروف عليهم وكمثال على ذلك نجد الأديب "جبران خليل جبران ",الذي تكونت روحه التأملية من قصته التي تتميز بالمعاناة والمرار ة التي تنسج فصولها من الفقر والتشرد والمرض الذي كاد يفتك بعائلته إذ بسبب مرض السل الذي الم بعائلته ماتت أخته وأخاه وأمه فعاش حياة أليمة وحزينة أدت به إلى إطالة التأمل وكثرة التفكير وصبغ حياته بصبغة روحية ظهرت في عناوين مؤلفاته مثل: صراخ القبور والأجنحة المتكسرة والمجنون وحفار القبور 1

فالرؤية المأساوية للحياة والحزن والألم الذي ألم بأدباء العصر الحديث كان السبب في إبداعهم وتميزهم.

سادسا: التأثر بفلسفة الشرق وفكر المتصوفين والفلاسفة المسلمين

يتفق أغلب الباحثين على تأثر الأدباء التأملين بفلسفة الشرق وفكر المتصوفين المسلمين, والنصوص هي الدليل القوي لهذا التأثر وكذا الاعترافات الشخصية, فهي لها دور لا ينكر في حسم هذه الأمور ,كما يقول منذور في كتابه الميزان الجديد "هؤلاء الادباء يصدون عن قلب فيه لهفة الى الله ولو أنني قلت انهم متصوفون لما عدوت الحق فالتصوف ليس إلا وقدة في الإحساس كل شعور قوي مرتبط بالله تصوف مهما كان موضوع ذلك الشعور".2

ولقد تأثر هؤلاء الأدباء بالعديد من الفلاسفة والمتصوفين كأبي العلاء المعري وابن سينا والغزالي والخيام وابن الفارض والحلاج وابن العربي .....الخ, وكان لذلك التأثر باعث قوي على اتجاههم التأملي لأن التأثر نافدة تتيح للفكر استشراق آفات جديدة ومعايشة تجارب جديدة . 3

[1] –ينظر ,أدب المهجر , دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية في الأدب المهجري , صابر عبد الدايم , دار المعارف , القاهرة , ط1, 1993م, ص74, 75.

[2] – ينظر , في الميزان الجديد ,د, محمد منذور , نشر مؤسسات بن عبد الله , تونس , ط1, 1988, ص 93.

[3] –ينظر , أدب المهجر , صابر عبد الدايم , ص 89.

وبعد نستنتج أن كل من التكوين النفسي والغربة والتوق إلى الانعتاق من القيود المادية والنفسية , وكذا الطبيعة الشرقية والروح الدينية المتأصلة في نفوس هؤلاء الأدباء إضافة إلى الرؤية المأساوية لحياتهم ,وتأثرهم بفلسفة الشرق وفكر المتصوفين والفلاسفة المسلمين كلها بواعث حققت النزعة التأملية عند أدباء العصر الحديث وأدباء المهجر وذلك لان التأمل لا يأتي من فراغ.

4- بين تأمل المحدثين وفلسفة القدامى

لقد شهد كل من مصطلحي التأمل والفلسفة من جهة ومصطلحي الأديب المتأمل والفيلسوف من جهة أخرى خلطا وتداخل في المفاهيم والمعاني حيث يعتقد الكثيرين أن التأمل هو الفلسفة إلا أن لكل مصطلح مفهومه وماهيته الخاصة به.

فالتأمّل هو البحث في جوهر الأشياء ومحاولة التماس الحقائق بعيدا عن التعقيد والتقنين ,لأن الروح هي نقطة انطلاقة والعقل منارة على طريقة تهديه ولتعوقه .

أما الفلسفة فيعرفها أفلاطون بأنها البحث فيما وراء الطبيعة بحثا نظريا ممزوجا بالآلام والعمل على خلاص النفس الإنسانية من الجسم وصعودها إلى الأول واتحاد به .

أما بالنسبة للأديب التأملي فهو الذّي يتأمّل في الوجود ويحاول معرفة أصل كل ما هو موجود وذلك بصبغة أدبية[1] ,إذ وحتى وإن كانت له اتجاهات فلسفية ونزعة عقلية في التفكير فإن ذلك لا يورطه في جفاف الفلسفة بل يبقى أديب يتحدث في الفلسفة بلغة الأدب لا بلغة الفلسفة.[2]

أما الفيلسوف فهو الذي يجهد عقله في حل مشكلات الحقائق والكائنات ويرى أن الحياة كل الحياة في النظر فيها واستطلاع حقائقها وسر وجودها وهو يتخذ البحث في حقائق الأشياء مهنة له ويهون كل شيء في سبيل تنفيذ هده المهمة التي حملها على عاتقه, وإذن يتضح لنا مما سبق أن هناك

[1] – ينظر ,أدب المهجر , دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية في الأدب المهجري , صابر عبد الدايم , دار المعارف , القاهرة ,ط1, 1993, ص 60, 61 .

[2] –ينظر , أدب المهجر , صابر , عبد الدايم , ص 63, 64 .

مدخل:
ماهية النّزعة التأمّلية

علاقة موضوعية بين الفلسفة والتأمل فهما يشتركان في موضوعات واحدة إلا أن التأمّل يختلف عن الفلسفة في أنه لا يعنى بالقوانين الثابتة ,ولا التعريفات المحددة التي تعطي منهجا متكاملا له صفة الثبات والتوحد والفلسفة مصدرها العقل, أما التأمّل فيستضيء بوميض العقل الصافي الذي يكشف الطريق ولا يحدد أبعاداً, مع مؤازرة الوجدان والشعور وليس من غرائب الطبائع أن تتوفر لدى الفيلسوف قدرة الأديب أو يستقرأ في أعماق الأديب ومض لماح من عقلية الفيلسوف 1. ولهذا فقد اتهم الأدباء المحدثين التأملين بأنهم فلاسفة أكثر من أنهم كتاب ,غير أن هذا فيه نوع من اللبس لأن التأمل عند الأدباء المحدثين ومنهم المهجرين لم ينصب عندهم في أصل الكون وكيف وجد مثلما تعرض الفلاسفة لهذه القضية واختلفوا حولها ورددوا أصل العلم إلى الماء أو النار أو الهواء , وإنما تأملوا مظاهر الوجود الكوني وحقيقة الوجود الإنساني وبحثوا عن حقيقة سعادة الإنسان وأدهشهم تناقض القيم التي تحوطه من كل جانب ,وآمنوا بوحدة الوجود ومنهم من اعتقد في ألوهية الإنسان وهذا كله كان في قالب أدبي جذاب.2

5- سمات وأهمية التأمل

1. سمات التأمل

لقد اتصف التأمل بعدة صفات ومميزات مختلفة تتمثل فيما يلي :

أ-التجربة التأملية هي من أرقى التجارب الأدبية إذ تتعاون في تكوينها قوى الإنسان العقلية والشعورية والروحية والجمالية ,فتخرج مادة هي مزيج من القدرات السابقة كلها فتفرض كل ذي فطرة نقية لأن صاحبها فيه من الفيلسوف حكمته ومن الشاعر رقته ومن الصوفي شفافيته ومن الفنان ذوقه ونبوءته.

[1] -أدب المهجر , صابر عبد الدايم , ص 62.

[2] - ينظر, المرجع نفسه ص 495, 496.

ب-تتميز التجربة التأملية بتغير عميق يظهر من خلال انتقالها من حيز الفعل إلى حيز التأمل، كما أنها تتميز بنوع خاص من الثبات والوحدة والصفاء و بالبعد عن الأنانية.

ج-عدم اهتمام الأدباء التأمليين بالمفاتن الجسدية للمرأة وعدم تصويرهم لغرائزها وليس بدافع تبلد الشعور أو جفاف العاطفة ,وإنما هو تسام فوق الرغبات .

د-اتجاه الأدباء التأمليين إلى النفس الإنسانية وصبر أغوارها, وإلى الطبيعة في أسرارها الأزلية لاستلهام الحقائق الكامنة .[1]

ولهذه السمات أهمية كبيرة, إذ بها يعرف أصل التأمل و تعرف تفاصيله وقواعده.

2. **أهمية التأمل** :

للتأمل أهمية كبيرة ويمكن إجمالها في عدة نقاط تتمثل فيما يلي :

أولا : التجربة التأمّلية لها قيمة أكيدة في تنظيم الذهن , وهذه الناحية هي التي يوجد فيها تأثير الشعر من حيث هو شعر .

ثانيا :التجربة التأمّلية ضرورية لأجل الحياة الغزيرة الشاملة , وهي أيضا حلقة وصل بين عالم العقل وعالم الفن.

ثالثا: التأمّل ضروري لا للفنان وحده , وإنما لكل إنسان على نحو ما , فرجال الإدارة والسياسة ومن يشغلون المناصب الكبرى كلهم يحتاجون إليه إذا أرادوا أن يصبحوا أكثر من مجرد أناس ذو كفاءة ضيقة ومقدرة تخلوا من الخيال , ولكن الفرق شاسع بين تأمّل رجل الأعمال وتأمّل الفنان, فرجل الأعمال حينما يتأمّل فتأمّله لا يتعدى العمل الحسي الذي يسيطر عليه أما الفنان فتأمله بدافع من إحساسه الباطني الذي يجعل فكرته تزداد غزارة وعمقا.

[1] -ينظر , المرجع نفسه , ص 41, 42.

رابعا: التجربة التأمّلية في أسمى صورها ترتفع بمدارك الإنسان وتسمو بها عن التدلي إلى الأغراض الحسية التي تثيرها غرائزه الشهوانية .

خامسا:النزعة التأمّلية توضح الموقف الذاتي للشخص المدرك وذلك من خلال مضمون التأمل وهو شعور الموحد الذي يتميز بدرجة كبيرة من التركيب .[1]

6- أعلام التأمّل :

1. جبران خليل جبران 1883-1931م

ولد جبران خليل جبران سنة 1889 في بشري في لبنان , وهو ذات عقيدة مسيحية , هاجر مع والده إلى أمريكا, ولقد كان متأثرا كثيرا بالفيلسوف الألماني نتشه وفي سنة 1920 أنشا الرابطة القلمية وانتخب رئيسا لها , وقد كان جبران قد أخد بالكتابة في اللغة الإنجليزية سنة 1923 وكان له الأثر البليغ ,وفي سنة 1931 توفي جبران وانطفأت الشمعة الجبرانية .

وجبران هو رجل الطبيعة الفنية , إنه مزيج من فكر عميق , هو سلطة مسيطرة وعقل غني وسحر أخاد ومثالية مطلقة وإنسانية واسعة .

وتمثل فلسفة جبران في وحدة الوجود والتقمص وخلود النفس بدورات تنتهي بالتأله , ومن أهم أعماله . الأرواح المتمردة , العواصف ,ومؤلفه الشهير النبي .[2]

2. نسيب عريضة :1887-1946م

ولد نسيب عريضة في حمص سنة 1887 في سوريا , وتلقى دروسه الابتدائية في المدرسة الابتدائية في المدرسة الروسية , وفي سنة 1905 هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأقام في نيويورك حيث أسس سنة 1912مطبعة الأتلانتيك , واصدر عنها في السنة التالية مجلة الفنون التي حملت إلى

[1] ينظر , أدب المهجر , صابر عبد الدايم , ص 42 .

[2] – ينظر , الجامع في تاريخ الأدب العربي , الأدب الحديث, حنا الفاخوري , دار الجيل , بيروت , لبنا ن , ط1, 1986, ص 218

العالم روح الثورة التجديدية في الأدب العربي لكنها لم تلق من التشجيع ما يضمن لها الانتشار و البقاء وكان ذلك صدمة شديدة في النفس الشاعر نزعت به منزع التشاؤم والشعور بالخيبة وزاد تشاؤمه أن فجع بأخيه "سابا" ثم بشقيقته "ليديا" وراح يداوي جراح نفسه بموحيات إيمانه وتأملاته وجراحه واستولت عليه الحيرة في معضلة الوجود البشري , وقد كان نسيب عريضة من أركان الرابطة القلمية , وقد ظل في غمرة حيرته ينظم ويجاهد إلى أن توفي سنة 1964م و من أهم أعماله نجد الروايتين المشهورتين "ديك الجن الحمصي " و "الصمصامة" وكذلك ديوان شعر " الأرواح الحائرة " .

وتظهر النزعة التأملية لنسيب عريضة من خلال حيرته التي كانت تميز شعره , حيرة أمام الوجود إذ تطمع نفسه إلى اكتناه الحقائق الكونية فحيرته هي فلسفة وهي تسترسل في التساؤل والبحث والتقصي .1

3. اليا أبي ماضي : 1889-1957م

ولد اليا ابي ماضي في قرية المحدثية بلبنان سنة 1889 , وقد كانت مدرسة القرية أول بيت علم دخله ونال من علمه ما استطاع نيله وفي سنة 1902م توجه إلى الإسكندرية إلا أن الحياة في مصر لم تقدم له ما كان يصبوا إليه , وفي سنة 1912 هاجر إلى أمريكا واشتغل بالتجارة وفي 1916 انتقل إلى حياة الصحافة والأدب فعهد إليه في تحرير مجلة "مرآة الغرب " لصاحبها نجيب دياب.

وفي سنة 1939انشأ مجلة السمير وحولها فيما بعد إلى جريدة يومية وقد اشترك أيضا سنة 1920 في تأسيس الرابطة القلمية وكان شاعرها الفذ وفي سنة 1957 توفاه الله وهو لا يزال في أوج نشاطه الصحافي . 2

وتظهر النزعة التأملية عند اليا أبي ماضي في التفاؤل وفلسفة الحياة , فالحياة في نظره سائحة من سوائح الوجود , على الإنسان أن ينظر إليها نظرة واقعية حافلة بالتفاؤل والاستمتاع , وهو يبدي شيئا

[1] -ينظر , الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث , حنّا الفاخوري , ص 620.

[2] - ينظر المرجع نفسه ,ص591.

من الاستسلام للقضاء والقدر , فالتأمل هو فطرة في قريحة اليا أبي ماضي ومن بين أهم اعماله ديوانه تبر وتراب.1

4. ميخائيل نعيمة 1889–1988م

ولد ميخائيل نعيمة في قرية "بسكنتا "سنة 1989 من أبوين أميين يتصفان بالذكاء وصفاء القلب وحسن الطوية , وفي" بسكنتا" تلقى دروسه الابتدائية وفي سنة 1899 دخل المدرسة الروسية التي أنشئت في بلدته خدمة لأبناء الطائفة الأرثدوكسية ثم إلى نفس المدرسة في فلسطين سنة 1902, ثم إلى روسيا لمتابعة دروسه على نفقة الجمعية الإمبراطورية وفي سنة 1911 عاد إلى لبنان وفي نفس السنة انتقل إلى واشطن وتعلم اللغة الإنجليزية , وتخرج من جامعة الحقوق بشهادة الآداب والحقوق سنة 1916 وفي 1920ومع تأسيس الرابطة القلمية انتخب مستشارا لها وعهد اليه في وضع نظامها, توفي نعيمة سنة 1988.

ميخائيل نعيمة هو من الأدباء التأمليين ويظهر ذلك من خلال تعلقه بجبران وتأثره الشديد به وبأفكاره حيث جعله صومعة يناجي فيها أحلامه وينطلق في عالم تأملاته ويظهر دلك جليا م ن خلال كتابته , فهي بعيدة الأغوار عميقة النظرات يحاول ان يجد فيها تفسيرا للكون ولكل ما فيه فإذا قرأتها راقك سياقك وإذا طفا فكرك على سطحها راعك صفاؤها وسمو إنسانيتها وإذا حاولت الغوص في أعماقها اقلقك التعسر في تحليل نظرياتها وأنت على كل حال واجدفيها متعة للنفس ورياضة للعقل ونموذجا فذا للتخيل الذي لا ترافقه صرامة المنطق . ومن بين أهم أعماله وحي المسيح 1974,الغربال , زاد المعاد , اليوم الأخير .2

5. ابو القاسم الشابي :1909-1934

[1] – ينظر , المرجع نفسه , ص590.

[2] –ينظر , المرجع نفسه , ص 371 و 393.

مدخل:
ماهية النّزعة التأمّلية

ولد الشابي سنة 1909 في الشابّية في تونس من ضواحي توزر في إقليم الجريد جنوب تونس, بدأ تعليمه الأول في الكتاب وحفظ القرآن وهو لا يزال في سن التاسعة , وكان والده هو الذي يلقنه العلوم ويسمح له بقراءة كتب الدين والتصوف والفلسفة , وفي سنة 1921 انتقل إلى الزيتونة وتخرج منها سنة 1930وكان الشابي مصابا بمرض القلب الذي قضى عليه وهو في عز شبابه إذ توفي سنة 1934 وهو ذو 25 سنة , ولقد خلف الشابي وبالرغم من قصر عمره العديد من المؤلفات منها : ديوان أغاني الحياة ,حديث في المقبرة , صفحات دامية ,ومسرحية السكير .

وقد كان الشابي محبا لوطنه صادق لها كثير الألم , وكان تأمله مرتبطا بسحر الطبيعة والوجود وكان ذات نزعة صوفية رواقية ورومنطيقية .[1]

[1] -ينظر , الشابي حياته و شعره , أبو القاسم كرّو , منشورات المكتبة العلمية ومطبعتها , مكتبة الإسكندرية , مصر , ط1, 1952, ص 104, 105, 106, 107.

الفصل الأول

المبحث الأول: جبران خليل جبران: سيرته الذاتية والأدبية

أولا : سيرته الذاتية

1-نسبه ومولده:

هو جبران بن ميخائيل بن سعد من أحفاد يوسف جبران المشعلاني اللبناني نابغة الكتاب المعاصرين الأمريكيين وأوسعهم خيالا. أصله من دمشق نزح أحد أجداده إلى بعلبك ثم إلى قرية "بشعلان" في لبنان، وانتقل يوسف جبران إلى قرية "بشرّي "وفيها وُلِد جبران في ليلة السادس من كانون الأول سنة 1883م الموافق ل 1300هـ .[1]

وجبران هو ذو عقيدة مسيحية مارونية بالغ الحب بالنسبة إلى النبي المسيح .[2]

والده هو "خليل جبران" وهو رجل عديم المسؤولية، كان شديد اليأس قانعا من دنياه بخمرة تذهله عن مصائب الحياة، التزم مهنة تربية الأغنام والماعز في الجرود.

وأمّه هي" كاملة رحمة " ابنة الخوري أسطفان، نشيطة حادة الذكاء، كانت قد تزوجت من خليل جبران وهي أرملة "حنا رحمة "، كان رجلا طيبا فأخذها إلى البرازيل ومات هناك وقد أنجبت منه طفلا وهو" بطرس ".[3]

2-نشأة جبران

الأديب جبران خليل جبران , هو أديب مهجري انتقل مند الصغر إلى الولايات المتحدة الأمريكية , وظل منتقلا بين عدّة بلدان عربية وغربية وفي هذا الجزء سنعرض نشأته ورحلاته:

---

[1] -المجموعة الكاملة لجبران خليل جبران , تقديم الدكتور جميل جبر , دار الجيل , بيروت , لبنان , د,ط , د,س , ص3

[2] -جبران خليل جبران وموقفه من الدين , حسين ربحير , خرّيج الجامعة الإسلامية في كمبردج , ديوان العرب منبر حر للثقافة والفكر , الثلاثاء 27 تموز 2010.من شبكة الأنترنت .

[3] -المجموعة الكاملة لجبران خليل جبران , تقديم د, جميل جبر , ص, 6,7.

أ-أزمة عائلة جبران وهجرتها إلى الولايات المتحدة الأمريكية:

لما بلغ جبران الحادية عشر من عمره واجهته أزمة عنيفة دمغت حياته كلها بعلامة سوداء، أوقفت أبوه بتهمة اختلاس وفرضت عليه الإقامة الجبرية في مركز قريب من المحكمة, واحتجزت أملاكه فضاقت سبل العيش بوجه العائلة واضطرت إلى مغادرة لبنان طلبا للرزق وهربا من الذل [1]، إضافة إلى الفقر والحرمان والأوضاع المتدهورة في لبنان فهاجرت العائلة إلى الولايات المتحدة الأمريكية [2]، وكان ذلك في 25 حزيران سنة 1895حيث وصلت السيدة كاملة رحمة وأولادها الأربعة إلى مدينة "بوسطن" وأقامت في حي" الصينيين " أقدم أحياء المدينة وأضيقها [3]،فانصرف ابنها "بطرس "إلى التجارة وجبران إلى دراسة الإنجليزية والرسم.

ب-عودة جبران إلى لبنان :

لما بلغ جبران سن الرابعة عشر عزم العودة إلى لبنان ليدخل إحدى مدارس بيروت وهي مدرسة "الحكمة "، والتي لبث فيها أربع سنوات وكان هدفه منها التعمق في لغة أجداده والاستفادة من التعرف إلى شتى أنحاء بلاده؛ حيث استطاع أن يتأمّل معاني الجمال اللبناني، وأن يحتكّ احتكاكا قويا بما هنالك من ظلم اجتماعي واستبداد إقطاعي.

ج-رحلة جبران الأليمة :

في سنة 1902 عاد جبران إلى بوسطن، ومنها توجه بصحبة إحدى الأسر الأمريكية لزيارة أوروبا والشرق، وفيما هو يتجوّل من بلد إلى بلدٍ توفيت أخته "سلطانة "بداء السل، وظهرت علامات الداء الوبيل في أمه، فاستدعي إلى بوسطن في غير إبطاء، فرجع وفي نفسه لوعة أشد مرارة من الموت ،وفي سنة 1903م تعاقبت الويلات على نفس جبران فماتت أمه ومات أخوه بطرس ، ومات معها

[1] -المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران , تقديم الدكتور جميل جبر ,ص, 6,7.

[2] -جبران خليل جبران وموقفه من الدين , حسين رنجير , ديوان العرب منبر حرللثقافة والفكر . من شبكة الأنترنت .

[3] -المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران , تقديم د, جميل جبر , ص 7.

كل عزاء وعناء ووقف هو أمام الوجود يستعين بإبرة الشقيقة الباقية ، وبريشته وقلمه علّه يحصل على الضروري الذي لابد له من العيش .[1]

د–جبران في باريس :

في عام 1908 رحل جبران إلى باريس ملتحقا بأحد معاهدها الفنية ،حيث اتصل بالنحات الشهير "رودين " وبقي على اتصال به قرابة العامين، كما تسنى له في العاصمة الفرنسية أن يطلع عن كتب على بعض من آثار كبار الأدباء الرومنطيقيين مثل : موسييه ولامارتين .[2]

كما أنه تعرّف على السيدة "ماري هاسكل"، هذه السيّدة التي كانت مديرة إحدى المدارس، والتي دعته إلى عرض رسومه في مدرستها، حيث تعرّف فيها على الآنسة من أصل فرنسي اسمها " مشليين" وأحبها وأحبته، وكان بينها من الوداد الشيء الكثير، كما أن السيدة ماري هاسكل قدّمت له عدة مساعدات فقد عرضت عليه أن يبقى في باريس ويتابع دروسه الفنية على أن تدفع تكاليف سفره وتتعهد له بمبلغ مالي كل شهر قدره خمسة وسبعين دولارا إلى أن ينهي دروسه.[3]

هـ–جبران في الصومعة :

وفي هذه المرحلة ومع انتهاء سنوات الدراسة، عاد جبران إلى بوسطن بفكر جديد وخيال حر، وفي خريف 1912م انتقل جبران من بوسطن إلى نيويورك واتخذ له مقرا في حي قديم آهل بأرباب الفن، وقد أطلق عليه أصحابه في مسكنه هناك اسم " الصومعة " لأنه لزمه لا يخرج منه إلا قليلا لقضاء بعض الأشغال أو رد بعض الزيارات، وفي تلك الصومعة افتتح جبران مرحلة جديدة من مراحل حياته ،كانت كلها انصرافا إلى التأمّل والتفكّير والفلسفة ، وهناك قد تعرف على مؤلفات الفيلسوف الألماني

---

[1] – ينظر ,الجامع في تاريخ الأدب العربي , الأدب الحديث , حنّا الفاخوري , دار الجيل , بيروت , لبنان , ط1, 1886، ص220.

[2] –ينظر , جبران خليل جبران عبقري من لبنان , د , فوزي عطوي , دار الفكر العربي , بيروت , لبنان , ط1, 1989, ص20, 21.

[3] –ينظر, الجامع في تاريخ لأدب العربي الأدب الحديث , حنّا الفاخوري , ص222.

المشهور " نيتشه "ولا سيما كتابه "هكذا تكلم زرادشت"، الذي تأثر به تأثرا كبيرا يقول ميخائيل نعيمة: "إذا ما عرف جبران" نيتشه "حتى كاد ينسى كل من عرفهم، قبله من كبار الكتاب والشعراء .....وحتى أحسّ بوحدة أقسى من ذي قبل تكتنفه أينما سار، وبغربة تقصيه عن ماضيه إلى حد أنه صار يخجل أمام نفسه من كل ما كتبه وصوّره حتى ذلك الحين ....."[1].

3-جبران والرابطة القلمية :

لم يكن انصراف جبران للعمل في صومعته ليحول دون اتصاله بالأدباء وخاصة المهاجرين اللبنانيين حيث أسس مع نفر من إخوانه[2] ،في عام 1920م الرابطة القلمية ، وانتخب جبران عميدا لها وكان من بين أعضائها: ميخائيل نعيمة ، ونسيب عريضة ، وعبد المسيح حداد ورشيد أيوب .....الخ ، ولهذه الرابطة يعود الفضل في تحويل الأدب العربي شطر الفن الخالد، وفيها بدأ جبران يتذوّق المجد والعظمة اللذين كان يحلم بهما منذ صباه من أفواه المعجبين، وصار يبدل كل جهده بلسانه وقلمه وريشته ليكون عند حسن ظن الناس به، وكلما وفق في هذه الطريق، اشتد عنف الحرب الناشبة بين نفسه الظاهرة ونفسه الباطنة[3] ، وعلى حد تعبير الأستاذ نعيمة " نفسه التي كان يعرضها على النّاس ونفسه التي كان يسترها عنهم, فلا تراها إلا عين روحه الساهرة ".[4]

4-وفاته

لقد بقي جبران في عطائه الفذ يعيش على حنين وشوق إلى بلاده ، ويود لو يسرت له الأيام سبل العودة إلى الأجواء الساحرة التي أفعمت منه البصر والباصرة فتيا، ولكن رغبته تحطمت بدوره تحت وطأة السل الذي اشتد عليه ولفظ آخر أنفاسه في مستشفى "فنسنت " بنيويورك في العاشر من شهر نيسان سنة 1937م ، ونقل رفاته في 21 آب من نفس السنة إلى مسقط رأسه في " بشرّي"، حيث

[1] -الجامع في تاريخ الأدب العربي , الأدب الحديث , حنّا الفاخوري ص 222.

[2] -جبران خليل جبران عبقري من لبنان , فوزي عطوي , ص, 21.

[3] -الجامع في تاريخ الأدب العربي , الأدب الحديث , حنّا الفاخوري , ص 223.

[4] جبران خليل جبران , ميخائيل نعيمة , مؤسسة نوفل , بيروت , لبنان , ط13 , 2009, ص 168.

احتضنته أمه الطبيعية ميتا ، كما احتضنته حيا, في كهف بدير " مار سركيس" تحوّل إلى متحف يؤمه محبو جبران ومحبو أدبه وفنه .

وبذلك انتهت حياة إنسان وفنان، أديب شاعر وفيلسوف[1] ، انتصب أمام تيار الوجود انتصاب العنفوان، والذي كان تمثالا حيا من تماثيل الفن الذي قلما تجود بها عبقرية الوجود.[2]

5-شخصية جبران ومكانته الأدبية :

جبران خليل جبران هو رجل الطبيعية الفنية التي توترت أعصابها ، ورقت ملامسها ، ودقت مناطق حساسيتها ، فكانت عالما مزيجا من فكر عميق ....وإشراق نوراني وعاطفة متحسسة لأخفى المعاني وأخفى المحسوسات، وهو رجل الانفرادية الاجتماعية التي تريد أن تنمي الفرد بغداء المجتمع [3]، وهو ذو شخصية محببة وحديث ممتع، وعاطفة وثّابة وفكر عميق، ولقد وصفته الشاعرة والناقدة الأمريكية الشهيرة "بربارة يونغ " أنه نوع من أنواع الآلهة؛ إذ تقول : "هناك جنس من أنواع الآلهة ، لايزال باقيا على الأرض ، ننظر إليهم حينا من الزمن داعين إياهم رجالا ولكنهم من عنصر خالد ، أكثر ألوهية منا نحن إن جاز لنا التعبير " .[4]

وتضيف أيضا هذه الناقدة وتقول: "إن جبران هو إحدى التفاتات القدرة الكلية التي لا يحصى لها عديد، وكانت تتجلى في صوته وشخصه سلطة يجب أن نميز بينها وبين المفهوم البسيط للتفوق البشري ".[5]

وذلك؛ لأن جبران كان يملك عقلاً غنيّا، وعظيماً وخيالا واسعا وموهبة أدبية خارقة تجعله يختلف عن سائر البشر .

---

[1] – ينظر , جبران خليل جبران عبقري من لبنان , فوزي عطوي , ص 21 , 22.

[2] –الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث , حنّا الفاخوري ,ص 224.

[3] – المرجع نفسه ,ص 225.

[4] –ينظر , جبران خليل جبران , عبقري من لبنان , فوزي عطوي ,ص 14.

[5] –الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب الحديث ,حنّا الفاخوري , ص 225

وفي وصف مقدرته العقلية يقول كلود براندغون :"أن قدرته كانت تأتي من خزان روحي كبير ولولا ذلك ربما لم يكن عالميا وعظيما إلى هذه الدرجة، ولكن الجلال والجمال في اللغة التي وشّى بها هذه القدرة كان بكاملهما له وحده ".[1]

وتقول أيضا بربارة يونغ واصفة مقدرته العقلية : "بعضهم يعرف جبران الذي يملك تألق العقل لا حدود لامتداده وعمقه، ويعرفونه المفكر الذي قطع السنين حتى وصل إلى أعماق علم منظم، والرجل الذي كان يستطيع أن يملي على ثلاثة أمناء سرّ في نفس الوقت وفي لغات ثلاث ، العربية والإنجليزية والفرنسية ، وفي مواضيع ثلاث مختلفة .....الخ.[2]

فجبران هو خلق جبار ورجل ساحر، يملك قدرة عقلية عظيمة استطاع أن يتحدى بها كل ظروف حياته .

إضافة إلى هذا نجد أن الأسلوب الذي مزج فيه بين مختلف المؤثرات النفسية والثقافية التي توالت عليه غذا مدرسة قائمة بذاتها؛ إذ حاول الكثيرون تقليدها، ولكنهم لم يرتقوا بتقليدهم إلى مستوى أسلوب جبران وفي هذا السياق يقول المؤرخ "شارل قرم ": " خلق هذا اللبناني أسلوبا أدبيا جديدا، وأوجد مدرسة في التعبير لم تكن معروفة في الآداب العربية، كان عليها أن تبقى إلى اليوم مثالا منقطع النظير للشعراء المحدثين ، هؤلاء الشعراء الذين يدعون جبران أباهم ومعلمهم".[3]

وعلى الإجمال فإن السمة الخاصة التي اتسمت بها روائع جبران الفنية سواء سطرها قلم أو خطتها ريشة هي على حد تعبير" شارل قرم ": "في الصفاء البسيط لذلك الماس الخالص الذي نشأ مركبا

[1] –جبران خليل جبران , عبقري من لبنان , فوزي عطوي ,دار الفكر العربي , بيروت , لبنان , ط1, 1989,ص 14 .

[2] –الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث , حنّا الفاخوري ص 225.

[3] –جبران خليل جبران عبقري من لبنان , فوزي عطوي ,ص14.

فريدا ومتألقا من جميع حكمة الشرق والغرب اللتين ألف بينهما ، وجوهر نادر من الشعر السامي الذي يمكنه أن يشرّف الحضارة الإنسانية ".[1]

من هنا نستنتج أن جبران خليل جبران هو أديب عربي لبناني مسيحي ذو نزعة إنسانية سامية وهو ناقد اجتماعي ومفكر روحاني ثائر ومتمرّد ,وصاحب عقل حكيم وخيال واسع وأقل ما يمكن أن يقال عنه أنه عبقري بطبعه.

ثانيا :حياة جبران الأدبية

أ- مؤلفات جبران وأدبه :

1. مؤلفات جبران :

جبران هو أديب ومفكّر عبقري استهوى الأجيال التي أحبت مؤلفاته وأفكاره ،وذلك لأنه ألم بجميع ظروف الحياة وقدّمها في طابع أدبي رائع مكنه من بلوغ مستوى عالمي .

وتنقسم مؤلفات جبران إلى مرحلتين: المرحلة الأولى ما بين 1905و 1918 م والمرحلة الثانية ما بين 1918 و1931م .

المرحلة الأولى وهي المرحلة التي كتب فيها جبران باللغة العربية دون سواها ، وكان له فيها خمسة كتب هي : الموسيقى سنة 1905م ،عرائس المروج 1906م ، الأرواح المتمردة 1908م ، الأجنحة المتكسرة 1912م و أخيرا دمعة وابتسامة 1914م .وهناك أيضا ثلاث كتب عربية ولكنها ظهرت في المرحلة الثانية وهي: المواكب 1919م ومجموعتان من المقالات التي كان ينشرها في الصحف، الأولى منها ظهرت بعنوان العواصف والثانية بعنوان البدائع والطرائف 1923.

والمرحلة الثانية كانت في معظمها للكتابة باللغة الإنجليزية وقد وضع فيها جبران ثمانية كتب نشر منها ستة في حياته: وهي المجنون 1918م ، والسابق 1920م ، والنبي 1923م ، ورمل وزبد 1926م ، ويسوع ابن الإنسان 1928م ، وآلهة الأرض 1931م.1

[1] -ينظر , المرجع نفسه , ص 14.

وأمّا الكتابان: التائه 1932م وحديقة النبي 1933م فقد نُشرا بعد وفاة جبران ، وكان الأول منها تاما جاهزا للطبع ، أما الثاني فكان جبران قد وضع منه بعض الصفحات فتوّلت "بربارة يونغ " جمعه من أوراق جبران وأضافت إليه الكثير من أقوالها ، وبعض ما ورد لجبران في كتبه العربية.[2]

وقد تناول جبران في أدبه الدين والشريعة والتقاليد المسيطرة على المجتمع وسلك اتجاهات عن إحساس عميق بحقيقة الوجود، وعن عاطفة فلسفية روحية، تحاول أن تتساءل حينا وأن تجيب أحيانا عن الكثير من الميادين الفلسفية التي صاغها صياغة أدبية جديدة مبنى ومعنى .[3]

ولقد اعتمد جبران عدة أساليب للتعبير عن فكره منها: أسلوب القصص القصير، وأسلوب المثل وأسلوب التأمّل، وكان في كل ما كتب متأثرا بالتوراة والإنجيل فكرا وأسلوبا وكانت له فلسفة خاصة استقاها من مصادر متعددة ومن أعماق نفسه ومن أهم مقومات هذه الفلسفة: مبادئ التقمص، ووحدة الوجود والقوة البناءة للمحبة ، وكان حبران يعتقد نفسه صاحب رسالة ولقد عبّر عنها في شتى مؤلفاته ، وتتمثل هذه الرسالة في الدعوة إلى المحبة والسلام وحل مشكلات الإنسانية والإيمان بوحدة الوجود .

2. المراحل الأدبية في مسيرة جبران :

لقد تعددّت و تنوعت مظاهر الأدب عند جبران ، فمن تمرد وثورة على المجتمع ، إلى تأثر بالفيلسوف نيتشه ونظرته التشاؤمية للحياة، ثم إلى نظرة المحبة والأمل والعطف والحنان والحبّ والتسامح، ولهذا فإن أدب جبران تميّز بثلاث مراحل: المرحلة الأولى؛ مرحلة الوجوه والأوضاع اللبنانية، والمرحلة الثانية هي المرحلة الزرادشتية ، والمرحلة الثالثة والأخيرة هي مرحلة المصطفى أو مرحلة الفجر الجبراني .[4]

---

[1] – ينظر ,الجامع في تاريخ الأدب العربي, الأدب الحديث , حنّا الفاخوري, ص 226.

[2] – المرجع نفسه, ص 226.

[3] –الموجز في أدب جبران , نجيب روفا, ص29, 30, نقلا عن الدكتورة ريموند قبعين في كتابها , النزعة الروحية في أدب جبران ونعيمة , دار الفكر اللبناني ,بيروت, د, ط, د, س , ص 76.

[4] –الجامع في تاريخ الأدب العربي , الأدب الحديث , حنّا الفاخوري ,ص 227و 230.

أولا : مرحلة الوجوه والأوضاع اللبنانية :

لقد بدأ جبران أدبه بمرحلة تعتبر مرحلة الألم الاجتماعي حيث نجد أنفسنا أمام سلسلة من القصص في عرائس المروج والأرواح المتمردة والأجنحة المتكسرة .....الخ ، كلها تعبر عن ثورة على الإقطاعية السياسية وإقطاعية التقاليد الاجتماعية وإقطاعية الدين وغطرسة رجال الدين ، إنها انتفاضة طبيعية غنية بالعاطفة والإخلاص.

فجبران في هذه المرحلة يحوم حول الوجوه اللبنانية ويتعلق ذلك ببعض أحداث الحياة اللبنانية ، وجبران في هذه المرحلة لا يزال في طور التكوين الذاتي ، فيرى أنّ أسلوب القصص أقرب الأساليب إلى ذلك الطور، أسلوب القصص الخالي من التعقيد الذي يريك الوجوه أكثر مما يطور الأحداث، وقد تكون المثالية الجبرانية محض خيال ولكنها مثالية جبرانية تنسجم والنفس العامرة بالشعور الإنساني ,وتتناغم والأوهام التي تحفل بها تلك النفس على أنها حقائق أزلية [1]، وعلى الإجمال فإن جبران في هذه المرحلة أحاط بكل ما يشغل الإنسان والمجتمع من مشاكل وآفات وحاول معالجتها .

ثانيا : المرحلة الزرادشتية .

وفي هذه المرحلة ظهر التأثير الشديد لجبران بالفيلسوف الألماني "نيتشه"، حيث كان دليله الأول ومؤنس وحدته الأعظم، فاندمج فيه اندماجا جوهريا وكياني وصار يحس بوجوده في شخصه، وأصبح يفكر مثله، أي أصبح ساخطا متمردا على جميع القيم المقدسة، وغير المقدسة حانقا على الإنسان وحضارته، فقد اصطبغت حياته بالسواد حتى ليراها قفص عبودية قائمة ويرى الناس فيها عبيدا ، وقد حلّ الشك في نفسه مكان اليقين والتمرّد محل الاستسلام ، والدعوة إلى القوة مكان الدعوة إلى المحبة والسلام واعتقد أنّ الإنسان هو إله نفسه .[2]

[1] – ينظر, المرجع نفسه , ص 231.

[2] –ينظر النزعة الروحية في أدب جبران ونعيمة , الدكتورة ريموند قبعين , دار الفكر اللبناني , لبنان , د/ط, د/س, 38, 39

وراح يتصور عالما أفضل يرتفع فيه الإنسان فوق نفسه يفكر باتزان وتعليل للحياة ويدرك ما فيها من صعاب ولكنه لا يتهرب منها بالموت بل يحاول أن يتغلب عليها [1]، فكلامه وقفة عنيفة أمام الوجود، وقفة تأملية بركانية ويظهر ذلك جليا من خلال مؤلفاته وخاصة حفّار القبور الذي يرى فيه جبران أنّ الناس أموات لأنهم يرتعشون أمام العاصفة ولا يسيرون معها ويرى أنّ حفر القبور خير عمل يعمله ، وأنّ انصرافه إلى الشعر والفن إضاعة للوقت، وهنا يظهر تشاؤم جبران والنظرة السوداء للحياة .

وهكذا تمتد الزرادشتية الجبرانية في سخط رهيب على الحياة وعلى البشر والإنسانية .[2]

المرحلة الثالثة : وهي مرحلة المصطفى أو مرحلة الفجر الجبراني .

وفي هذه المرحلة حاول جبران غبش الظلام عن روحه ، فدخل عهد المحبة الروحية الشاملة " عهد ولادته الثانية ومعموديته الأولى "[3]، وكان ذلك بعد هدوء عاصفته التي كانت تتمثل في تأثره بالفيلسوف الألماني " نيتشه "، وقد أخذ يتحول شيئا فشيئا عن ظله الناقم عن البشر [4]وأصبح إنسانا محبا ذا نزعة تفاؤلية ونفس مليئة بالمحبة والرقة والتسامح المقدرة للبساطة والبسطاء الحانية على الضعف والضعفاء .[5]

وتتميز هذه المرحلة بظهور كتاب النبي الذي شهد نجاحا كبيرا وتفوقا هائلا استطاع جبران من خلاله أن يبلغ صيتا عالميا، حيث هيمنت فيه شريعة المحبة من جهة وتوازنت فيه المتناقضات من جهة أخرى ، ويقول فرانكل عن هذا الكتاب " .....في هذا الكتاب الصغير بعدد صفحاته والكبير ببالغ حكمته وخالد آياته ، لا يخطر لك أنّ قلة صفحات هذا الكتاب تحملك على الظن أنّ في استطاعتك أن تقرأه في وقت قليل ، فهو من الكتب الفريدة في العالم" كالكوميديا الإلهية" لدانتي و"الفردوس

[1] –ينظر جبران خليل جبران , إطاره الحضاري وشخصيته وآثاره , خليل حاوي , عرّبه بإشراف المؤلف سعيد فارس باز , دار العلم للملايين , بيروت , د/ط,1986, ص73.

[2] – ينظر ,الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب الحديث , حنّا الفاخوري , ص 231, 232.

[3] –ينظر , النزعة الروحية في أدب جبران ونعيمة , الدكتورة , ريموند قبعين , ص 43.

[4] – ينظر , الجامع في تاريخ الأدب العربي , الأدب الحديث , حنّا الفاخوري , ص 232.

[5] –ينظر , النزعة الروحية في أدب جبران ونعيمة , ريموند قبعين , ص 43

الضائع" لهملتون"..... الكتب التي يجب أن تقرأ أولا وثانيا وثالثا وعاشرا وفي كل يوم وفي كل ساعة ، إذا كان القارئ يود إدراك جواهرها والحصول على دررها ، وتتضح لكم عظمة الكتاب من سرد بعض المواضيع التي يطرقها المؤلف فيه مثل: الحب والزواج والأولاد والأخذ والعطاء والعمل واللعب ...و الأكل والشرب .....وإنني لا أبالغ قط إذا قلت أنّ كل خطبة من خطبه كافية لأن تكون أساسا متينا لأي عظة من العظات الكبرى ....."[1]

وبعد فإنّ كل من مرحلة الوجوه والأوضاع اللبنانية والمرحلة الزرادشتية ومرحلة المصطفى كلها مراحل مرّ بها أدب جبران ، ومن خلالها تنوعت كتبه ومواضيعه .

ثالثاً : ثقافة جبران :

نظراً للآثار الضخمة للأديب جبران خليل جبران والتي تنوعت ما بين كتب ورسومات ارتئينا أن نبحث في الثقافة التي ترعرع فيها هذا الأديب العبقريّ والتي تنوعت ما بين ثقافة عربية وغربية .

❖ **ثقافته العربية :**

لقد كانت ثقافة جبران العربية محدودة جدّا ، إذ أنه وكما سبق أن ذكرنا قد ابتدأ مسيرته الدراسية والثقافية بالالتحاق بمدرسة " الحكمة " التي لبث فيها أربع سنوات وتعلم فيها كل من قواعد الصرف والنحو والبيان والمعاني والعروض والقوافي ، وأما فن الرسم فقد قضى في تعلّمه ثلاث سنوات في "باريس" ، وهكذا يكون جبران قد أنهى مسيرته الدراسية، من هنا يتضح لنا أنّ جبران كان تلميذَ نفسه وأنّ تعلّمه كان ذاتيا، لأن هذا الزيت الشحيح في فكر جبران لا يعادل النموّ الذي سطع به ، وقد حصل جبران على ثقافته بكثرة المطالعة وحبّ المعرفة والفضول إضافة إلى أنه كان متّقد الذكاء وحاضر الذهن وعبقريّ المواهب.[2]

❖ **تأثره بالفلاسفة المسلمين :**

[1] – ينظر ,الجامع في تاريخ الأدب العربي , الأدب الحديث , حنّا الفاخوري , ص233.

[2] – ينظر , النزعة الروحية في أدب جبران ونعيمة , الدكتورة ريموند قبعين ,ص 22.

لقد كان جبران شديد التأثر بالفلاسفة المسلمين القدامى ، ويظهر ذلك واضحا من خلال مؤلفاته، حيث توجد إشارات واضحة تدل على أنه اضطلع على كثير من نتاج أعلام الأدب والفلسفة أمثال: المتنّبي والمعّري وابن الفارض وابن خلدون والغزالي، ولقد ركز على هؤلاء أكثر من سواهم لأنهم أدنى إلى معتقده وأقرب إلى ميوله النفسية .

وقد أعجب جبران بابن الفارض ، شاعر الحبّ الإلهي الذي انتهى إلى النور الأعظم بعد أن اشتغل بعلوم الحديث والشريعة واعتبره أميرا في دولة الخيال الواسع ، حيث تطوف أحلام الشعراء وميول العشاق وأماني المتصوفين .

كما أعجب أيضا بابن سينا واعتبره نابغة زمانه ووجد في " عينيته " أعمق ما يلزم الخيال من الأماني التي توّلدها المعرفة والأسئلة التي يثمرها الرجاء والنظريات التي لا تصدر إلا عن تفكير مستمر وتأملات طويلة [1]، وتظهر أيضا ملامح الصوفية لجبران عند توافقه مع ميول وأفكار الصوفيين؛ فهو نظير ابن فارض يتدرج من الأغراض والموجودات الحسيّة ليستدّل على الحضور الإلهي في الكون 2، كما أنه يتقارب مع أفكار ابن العربي عندما يرى أنّ الإنسان هو نفسه الإله ، هذا ما مكنّ جبران من أن يكون له تفوق هائل في كتابة اللغة العربية وفي ألوان بلاغتها.

[1] –ينظر المرجع نفسه , ص 23

[2] –ينظر جبران الفيلسوف غسان خالد ص 326, 327 , نقلا عن الدكتورة ريموند قبعين في كتابها , النزعة الروحية في أدب جبران ونعيمة, ص 24.

❖ **الكتاب المقدس والتنشئة الدينية:**

الكتاب المقدّس هو الرسول الشرقي الأكبر إلى الغرب وهو رفيق جبران منذ طفولته، فقد كان مغرما بقراءته، وقد كان أول وأعمق ما قرأ، فرسخت آياته في صميمه نقشا على الحجر يستلهمها كتابة وعملا، ويتجاوز نفسه على طريق الكمال، وقد عبّر جبران عن محبته لهذا الكتاب وللمسيح في إنجيله بالرسم والكتابة، ونقل نصوصا حرفية منه خاصة في مجموعتي عرائس المروج ويسوع ابن إنسان. [1]

أما التنشئة الدينية فنرى أنها اقتصرت على ما أخد عن أمه من عبارات وممارسات، وعن طائفته المارونية من الاحتفالات الروحية أيام الآحاد والأعياد من دون أن يسبر أغوارها ، ويتأمل بعمق في معانيها وأبعادها ، فجاءت تنشئته الدينية سطحية زادتها خطرا أنها قامت على حرية الفرد في تفسير الأسفار المقدسة ، وقد استوحى ذلك من النشاط الديني الذي كانت الإرسالات الغير الكاثوليكية قد بدأته في لبنان ثمّ من الحياة الدينية في أمريكا ، من هنا يظهر لنا انّ جذور التنشئة الدينية ترجع إلى تعلمه الشخصي للكتاب المقدس وتفسيره له ، فمال مع كلّ ريح واتخذّ الأديان كلها دينه ، ويمزج بينها في خياله كما يحلو له ويتناول منها بشعوره ما يشاء غير أنه بمذهب معيّن، ولا بمقاييس أو طقوس تعارف عليها البشر .2

❖ **الديانات الشرقية القديمة :**

تأثر جبران ببعض أدباء الشرق ومعتقداته وأنبيائه ومتصوّفيه ، فإنّ كتاب " التائه " مثلا ينطوي على خمسين حكاية استوحى المؤلف حلها من الشرق على غرار ابن المقفع ولافونتين وأندرسن ، وهي تتميزّ بمرارة تهكمية؛ وذلك حيث أترعه الألم فأفرغ في الريشة بعضه، أو كأنّ ارتفاعه في عالم الخلق أراه عيوب الناس بصورة أبرز فتلهّى بنقدها بطريقة عميقة المغزى قاتمة الجوّ. إذن جبران استعذب آداب الشرق القديم وعلومه وروحانيته التي توقظ القدرات الخلاقة الكامنة في باطن الإنسان ، وتلقي رياها ،

[1] –النزعة الروحية في أدب جبران ونعيمة , الدكتورة ريموند قبعين , ص 24

[2] – ينظر المرجع نفسه , ص 25.

وترسم غاياتها التي هي النقاء والتطهّر من الحسّ والمادّة والاتحاد باللّه ، وقد تغنّى بها تغنّى المؤمن الذي وجد ضالته، مما أعطى لكتبه مسحة الأسفار المقدّسة وشيئا من لغتها ونكهتها . [1]

❖ **الثقافة الغربية :**

لقد كان لجبران ثقافة غربية واسعة ويرجع ذلك إلى استقراره مع أسرته في " بوسطن "، إذ تعلم اللغة الإنجليزية ، وانفتحت أمامه أبواب المعرفة الغربية من أدب ونقد وفلسفة ، إضافة ومع ظهور الحركة الرومنسية الثائرة في القرن التاسع عشر ، فقد اطلع جبران على نتاج بعض الأدباء الرومنسيين وقرأ لهم، واستهواه الاتجاه الميتافيزيقي الذي تميّز به شعرهم ، فتعمّق في دراستهم ، وهضم مادتهم التي يقرأها ، فإذا خرجت من لسانه شعرا أو نثرا طبعها بطابعه ولوّنها بشعوره وأحاسيسه ، فجاءت أدبا جبرانيا مميّزا .

ومن أهمّ الأعلام الذين تأثر بهم جبران نجد : وليم بلييك، جان جاك روسو ، رالف والدوام رسون ، وليم وردزورت ، جون كيتش، رودان، ونيتشه، هذا الأخير تأثر به تأثرا كبيرا وشديدا في إحدى مراحل حياته حيث أصبح يفكّر مثله ويتحدث بلسانه، أي بنظرة تشاؤمية وقاسية ومتمرّدة على المجتمع .

من هنا ومن خلال تعرفنا على ثقافة جبران يتضح لنا أنّ جبران مدين بالقسم الأكبر من ثقافته لأدباء القرن التاسع عشر ومفكريه في أوروبا وأمريكا وكذلك له جذور ثقافية متعددة في الشرق والغرب، بالإضافة إلى تعلقه وحبه الكبير للكتاب المقدّس، هذا كلّه أدّى إلى امتداد خياله ونجاحه.[2]

رابعاً: أسلوب جبران:

[1] –بين جبران ونعيمة , طنسي زكّا , مكتبة المعارف , بيروت , د/ط, 1958, ص, 81, 84.

[2] –ينظر النزعة الروحية في أدب جبران ونعيمة ,الدكتورة , ريموند قبعين , دار الفكر اللبناني , لبنان , د/ط, د/س , ص28, 29, 30, 31, 32, 33.

لقد اعتمد جبران في كتاباته ومؤلفاته على عدّة أساليب وذلك للتعبير عن إبداعاته المختلفة بصور عذبة ورائعة ومن أهم أساليبه :

اللون القصصي: لم يكن جبران قصاصا بكل ما في الكلمة من شعور وذلك لأن قصصه يسيطر عليها طابع الفنان الوجداني المرهف الحس والشعور وعلى حدّ قول ميخائيل نعيمة "طبيعة المرشد والمصلح الواعظ".[1]

ولهذا لم يهتم جبران للعقدة والسرد والسياق بقدر ما اهتمّ للمغزى ، ولبث الشعور وتركيب الصور ، واختراعات الخيال الخلاق الساحر ، فقد رمي في قصصه إلى النقد المتهكّم ، ومزج في أقاصيصه بأوانه الاجتماعية وجعلها مركبا لانطلاق خياله، وتلوينات فنّه، وملأها بالعناصر المؤلمة من الحياة التي كان نظره دائم لامتداده إليها، رغبة منه في تفجير شعوره على قلوب المتأملين ورغبة منه في اطلاق صوته في وجه المتكسرين والمستبدّين ، الذين لا يشعرون بشعور البائسين .

الأسلوب الفلسفي :

أما أسلوبه الكتابي فهو أسلوب فلسفي؛ لأنّ جبران كان فيلسوفا في بردة شاعر ، سكب أفكاره في قالب جبراني خاص ، يقوم على التلوين الكتابي والتقطيع الموسيقي والابتكار الإبداعي والانطلاق الخيالي ، الذي ينطلق بالصورة الجديدة التّي لا يحلم بها غير جبران ، وتحميل الألفاظ فوق ما تطيق والسّير في خفة وسهولة وعذوبة أخاذة ، هكذا كانت كتابته عمقا من الفكر في عالم من الشعر .

كما يعتمد جبران إلى الرمزية في كتاباته ، تلك الرمزية الرومنطيقية التي تصوغ من العاطفة والخيال والموسيقى سلم جمال يصعد فيها القارئ ليتمتع بالأفكار ورؤى الإيحاء من وراء الأجواء البعيدة الآفاق التي يمتد فيها النظر إلى أن يحط على جبل رأسه في العلاء وأصله في أعماق الأرض والواقع.

[1] – الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب الحديث , حنّا الفاخوري , ص 240.

وكل شيء في كتابة جبران هو سرّ وسحر للفظة المفردة والعبارة المركبة ، لتقطيع العبارة وتآلف الحروف للموسيقى المتصاعدة من كلّ حرف وكلّ لفظة وكلّ عبارة ، ولهذا يعتبر جبران ساحراً بلفظه وعباراته ومجمل كتاباته .[1]

[1] -ينظر الجامع في الأدب العربي الأدب الحديث , حنّا الفاخوري , ص 241.

المبحث الثاني : ملامح من فلسفة جبران ونظراته التأملية

أولاً :ظروف وبواعث فلسفة جبران.

يُعدّ جبران خليل جبران أديبا وفيلسوفا ومتأملا بارعا، و عبقريّ ، حيث قيل أنه عاش في حضن الأمواج والدموع والأحلام ، يهجر هذا العالم بقلق وجودي عميق كأنه في غربة عن ذاته ، يفتش عن أنقاض الإنسان في مجابهة أبديّة لأعداد الإنسان الكامنة في أغوار نفس الإنسان ذاته .

جبران هو ابن المحبة والجمال فعمل كالنبيّ على صقل الوجود الإنساني ، ونزع الزيف منه ولو كلّفه ذلك الغالي وحتى الذات. خلق عالما جديدا ورفيقا من الأدب الشخصاني الهادف الحالم في كمال الذاتية الفردية ، وكمال الإنسان .....التفت من القواعد الكلاسيكية وانبعاث العنصر العاطفي مع حتمية الموسيقى وصرخة الذات المتألمة إزاء أمراض المجتمع الرافض للمثل الإنسانية الرفيعة ،[1] وقد كان لجبران فلسفته وتأملاته الخاصة، حيث أنه كوّن لنفسه آراء جزئية متناثرة ، وراح يفسرها ويعلّلها مصيبا مرة ومخطئا مرة أخرى ، ذلك لأنه قرأ في الفلسفة قضايا الوجود والعدم والعلّة والمعلول والروح والجسد فظلّ حائرا لا يصل إلى شيء يقيني؛ لأن من طبيعة الموضوعات الميتافيزيقية أنها لا توصل الإنسان إلى يقين كامل، وتبتعد به تدريجيا عن الإيمان الصحيح لكثرة ما يطالع من آراء متناقضة وحجج معقولة لكل رأي.[2]

وهذه الفلسفة التي عاشها جبران لم تكن وليدة فراغ إنما هي وليدة عدّة ظروف، فجبران الذي انطلق من لبنان يحمل ثقافة واسعة وعقيدة مسيحية شأنه شأن عامة الشعب من الشرقيين وهجرته إلى أمريكا الشمالية، ومواجهته لأكثر ما يواجه المهجرين من احتكاك بحريّة فكرية واسعة وتيارات إيديولوجية متباينة ومن انفتاح وعي ما ينتشر ويتداول، جعله ينزع منزعا فلسفيا تأمليا تداوله في حياته راح يعالج فيه حقيقة الحياة وعالم الروح إضافة إلى ذلك تأثره بآراء " نيتشه" ورومنطيقية "وليم بليك ".

[1] – ينظر الجامع في الأدب العربي , الأدب الحديث , حنّا الفاخوري ,,ص 241.

[2] –النزعة الإنسانية عند جبران , عدنان السكيك, الهيئة المصرية للتأليف والنشر , مصر , د/ط, 1970, ص 148.

كما تأثر جبران بالصوفية التي ظهرت منذ القرن الخامس عشر وراحت تمتدّ وتتفرّع وتدّعي أنّ معرفة اللّه تتم عن طريق معرفة الذات ، وبواسطة الوحي الذاتي ، فتسموا بذلك الروح الإنسانية سموا تتحدّ في نهايته بالله ، ولا يتم لها ذلك إلا بعد عودات تقمصيه تصعّد بعض كل عودة تصعيدا يدينها من هدفها وكمالها أي التأله الذي وجدت له، وفيه نجد التألق الذاتي، وهكذا يكون الإنسان في دائرة متواصلة ينتهي في ختامها إلى الكمال المطلق ، كما أن الصوفية ترفض من أجل ذلك التقاليد والأنظمة التي توارثتها الأجيال ، ولا تجد فروقا بين الأديان فهي نظرتها واحدة ولا تقوم إلاّ إذا توجهت بالإنسان إلى معرفة ذاته ، ومنها إلى التعالي التألهي الذي يحقق الذات الإنسانية الكاملة فيه وتمتدّ في نظرياتها إلى حلولية, تحلّ اللّه في كلّ جزء من أجزاء الكون ، و إلى الوحدة كونية تنطلق من اللّه كإشعاعات الشمس ثمّ تمتدّ في موجات صير ونية متلاحقة .[1]

ثانياً : فلسفة جبران

ونظرا لهذه الأجواء وجد جبران فيها غذاء لنزعته الصوفية ودعما لرسالته الإصلاحية ومنطلقا لعمله الاجتماعي، كما وجد تفسيرا للهاجس الإنجيلي الذي كان يملئ أجواءه الروحية، فراح يفهم بعض أقوال المسيح وتعاليمه على الطريقة الصوفية ، فيجد عنده الرجعة والإنسان المتأهل، والمثال الأعلى للكمال الإنساني الذي أنهى دوراته التقمصية والتألّه، وينتصب يعلّم الناس كيف ينعتقون، والذي وإن عاد إلى الأرض فإنها تكون عودته لمساعدة الناس على السير في طريق الانعتاق، حتّى ينتهوا معه إلى دائرة النور الأعلى في وحدة كونية شاملة .[2]

وجبران الذي وجد أنّ مولده يتواقت مع ذكرى ميلاد المسيح، أي السادس من كانون الثاني، يرى أنه دعي إلى صوفية حاول أن يحققها في ذاته وأن يدعو الناس إلى تحقيقها برفض التقاليد واعتناق

[1] –ينظر الجامع في الأدب العربي , الأدب الحديث , حنّا الفاخوري ,ص 237,238

[2] – ينظر ,المرجع نفسه , ص 239.

مذهب المحبة والتعالي فوق الأديان والجري في الطريق الروحية التي تخطّها المسيح، واتخاد المسيح مثالا لكل كمال.

ولا شك أنّ جبران سلك في فلسفته طريق النموّ التطوّري ، فكانت المرحلة الأولى مرحلة الرومنسية المتألمة التّي تنتصر للدّين من مفسديه وللمجتمع والحياة الاجتماعية من الذئاب البشرية و الظالمين ، وكانت مرحلته الثانية مرحلة القوّة والتمرّد والثورة على التقاليد والعادات ، وامتداد في الطموح الإنساني إلى التحرر المطلق ، وكانت مرحلته الأخيرة الوقوف مع المصطفى يسوعا إنسانيا أنهى دوراته التقمصية ، وتجوهر في الذات الكليّة في وحدة وجودية ، تشرق عليها المحبة ، وتربط بعضها ببعض برباط مقدّس أزلي .

وفي غمرة هذا التطوّر تعمل الرؤى الصوفية عملها فتصبّ الأفكار الجبرانية في حلولية تخرج الرجل من أزمته النيتشوية، بل تذيبها في إشراقية توّحد ما بين الله والكون ، وتجعل من المحبة جاذبية كونية ونظاما شاملا يقوم مقام أنظمة البشر المصطنعة ، وهكذا فالحولية في نظر جبران هي حلول الله في العالم حلولا جوهريا هي الله في الكلّ والكلّ في الله ، وهكذا فالطبيعة كلها مظاهر إلهيّة للجمال الوجودي ، والجمال جوهر الوجود الطبيعي ، ومبعث المحبّة التي تسيّر الكون ، والإنسان يسمو بالمحبة وبها يندمج في وحدة الوجود ، أي في الله الحال في الكون والقائم به الكون ، وذلك في تسام تدريجي يتمّ في عودات تقمصية مختلفة .[1]

كما عبّر جبران في شتّى آثاره عن حتمية التقمّص وقال أنه جاء إلى الأرض عدّة مرات ، وانطق المصطفى بهذا الرأي ووعد أتباعه بالعودة , وهذه والعودات هي مراحل معرّفة تنتهي بالتأله ، وهكذا الموت باب لحياة جديدة ، والحياة الجديدة حلقات من الجهد الشخصي ، يتفوق به الإنسان على الذات بالمعرفة والمحبة. ولهذا آمن جبران بالفكر الصّوفي وذلك لأنه يحاول فهم أسرار الطبيعة والوجود بالاستسلام الإيماني الحدسي أو الروحي القلبي لا بالاجتهاد العقلي والمنطقي، أو الجدل الكلامي، كما

[1] -ينظر الجامع في الأدب العربي , الأدب الحديث , حنّا الفاخوري , 239.

أنه لم يدع إلى التقشف والزهد، بل دعى إلى الانغماس في بهجة الحياة والتّأمّل في روعة الوجود إضافة إلى نزوحه العاطفي، إلى بعض القيم وآفاق الروحية الشرقية.

وأخيرا فإنّ جبران لم يكن فيلسوفا بالمعنى الحصري للكلمة، ولم يدرسها ولم يقدّم منظومة فيها أو نسقا فلسفيا متكاملا، ولم يتعامل مع العقل الذي هو أداة الفلسفة الرئيسية في حياته وفي كتاباته، بل استعان بالوجد والحسّ والقلب لفهم الحياة ، لذلك كان فيلسوفا للحياة الإنسانية أكثر منه فيلسوف عقل وفكر ونسق ، وفلسفته هي فلسفة إيمانية المنحى حولية النظرة ، تقديمية الطابع مولّدة تصوفا جديدا لحضارة جديدة، ثوري الزهد القديم في غياهب التاريخ لتوقظ في الإنسانية علاقة روحية خاصة بينها وبين العالم .1

ثالثاً : ملامح النظرة التأملية والفلسفية في أدب جبران:

تتميّز مجمل مؤلفات جبران بطابع تأملي فلسفي وجودي وكمثال على ذلك اخترنا كلّ من كتاب "النبيّ " ورواية " الأجنحة المتكسرة "، وقصيدة " المواكب ".

كتاب النبيّ :

هو أول كتاب أصدره جبران خليل جبران باللغة الإنجليزية وذلك عام 1923م ، وقد كان له من الدوي الهائل في الولايات المتحدة الأمريكية ما لم يكن جبران يتوقعه فقد طبع عدّة طبعات وبيع عدّة ملايين2 ، ويمثل هذا الكتاب بالنسبة لجبران عهدا جديدا تهيمن عليه شريعة المحبّة من جهة وتتوازن فيه المتناقضات من جهة أخرى ، كتب جبران النبيّ وقد تجاوز الخامسة والثلاثين من عمره ، فأذاع الكتاب شهرة خارج الأوساط الأدبية وأثار اهتمام رجال الدين ، حتى قيل أنه قد تليت مقطوعات منه في بعض الكنائس والمعابد ، والحقيقة أنّ تلك الكنائس والمعابد التي تليت فيه كتب جبران كالكتب المقدسة ،

[1] –جبران خليل جبران , فيلسوف حياة وليس عقل , جورج الفار , جريدة الغد, 21فبراير 2013. من شبكة الأنترنت

[2] –جبران خليل جبران , عبقري من لبنان , فوزي عطوي, ص 45.

كانت مسارح لا غير وذلك حسبما هو معروف لدى تجمّعات الطوائف البروتستنتية على اختلافها ،[1] بسبب هذا الدويّ الكبير في العالم وتلك المسحة الشرقية الصوفية الرومنطيقية التي تغلّف فصول الكتاب ، وهذه اللغة التي تعوّدها النّاس في الكتب المقدّسة وحدها[2] ، فأقواله هي ترنيمة تمجيد الإنسان وإنّ صاحبها لا يقصد أن يسنّ قواعد السلوك ، ولا يدعي أنه مشترع أو متلق لوصايا جديدة وإن كانت تتخذ بشكل المبادئ والوصايا ، فرؤياه نور صاف لا ترى إلا الخير في الإنسان والحياة ، ولكي لا يساء فهمه عند النّاس فقد أعرب عن هويته بأنه أحد أبناء الحياة الذين يستمدون معرفتهم من صميم الواقع والطبيعة البشرية. وقد وصفت " ماري هاسكل "كتاب " النبيّ " قائلة: "سيعتبر هذا الكتاب كنزا من كنوز الأدب الإنجليزي ، وسنفتحه في ظلماتنا للاهتداء إلى أنفسنا ، ولإيجاد السماء في داخلنا وستغترف منه الأجيال البشرية ، ولن ينفد بالعكس سيكون الكتاب الذي يجد فيه البشر جيلا بعد جيل ما يتحرّقون إليه ، وسيزدادون له حبّا وتقديرا مع تقدّم نضجهم أكثر فأكثر ".[3]

وتظهر النزعة التأملية الفلسفية في هذا الكتاب من خلال موضوعات تتعلّق بنواحي الحياة العملية التي تهمّ الإنسان والتّي عالجتها الأديان، فأتى بمنزلة استهلّ قانون روحاني لا يبتعد عن معناه الخلقي، إنه كالغمامة الممطرة في الأرض العطشى، قدّم للناس العلاج الروحي لمشكلاتهم وعلاقتهم الإنسانية في وقت فيه هم أشدّ ما يكون حاجة لمثل هذا العلاج،[4] وكذلك لأن فيه سياحة فكرية روحية في أثير الخيال الرحب ، يريح الأعصاب من الجهد المستمر في جوهم المادي الجاف فاطمأنوا إليه اطمئنانهم إلى الكتب المقدسة ، وما إليها .[5]

---

[1] – النزعة الروحية بين جبران ونعيمة , ريموند قبعين , ص 44.

[2] –جبران خليل جبران , عبقري من لبنان , فوزي عطوي , ص 45.

[3] – النزعة الروحية بين جبران ونعيمة , ريموند قبعين , ص 44.

[4] –المرجع نفسه , ص 44.

[5] –ينظر جبران خليل جبران , سيرته وأدبه ورسمه ,جميل جبر ,دار الريحاني بيروت 1958,ص 157.

وفي هذا الكتاب يربط جبران ظروف المصطفى الذي يعتبر بطل الكتاب بظروف حياته وصوره كمن بلغ في الواقع الحالة الروحية التي يتحدث عنها ، فكأنما صوّر نفسه بالغا تلك الحالة لا بخياله ، بل في أحوال معيشته وأدوارها كلّها ، ولأنه خلع وشاح النبوءة فكأنما قد خلعه على ذاته أيضا [1]، فشرع جبران النبيّ يدعو الناس إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة ، وإنّ الدافع والنتيجة عنده هو الوصول إلى مجتمع إنساني تنتظم فيه العلاقات بين أفراده ، وتسود بينهم روح المحبة والألفة، ولعلّ الغاية الإصلاحية التي تكوّن جوهر الرسالات قد حملت من يريد الإصلاح الاجتماعي على التحدث إلى الناس بلهجة النبيّ وبطريقته [2]،كما أنّ كتاب النبيّ لم تكن أحداثه أو أشخاصه موقفا على المجتمع الشرقي عامة، واللبناني خاصة كما كانت الحال بالنسبة للكتب المقدسة التي وضعها جبران قبل " النبيّ " وإنما شملت أحداث الكتاب وأشخاصه كلّ مكان وزمان، لأنّ المثل الروحية والقيم العليا هي بنات الفضيلة الإنسانية التي لا تتبدّل بتبدّل المراحل الزمنية والإطارات المحلّية، فكتاب جبران هو ذروة الإنتاج الجبراني بحيث كان كلّ ما سبقه تمهيدا له وكان كلّ ما لحقه خلاصة منه .[3]

الأجنحة المتكسرة :

وهي رواية أصدرها جبران سنة 1912، و لم تقتصر هذه الرواية وحسب على فنّ قصصي قويّ السبك محكم العقدة، جميل السياق، وإنما حملت كثيرا من روح جبران وعاطفته وعقله وأحاسيسه وخواطره وتأملاته، كما تلونت بصور من خيالاته وبإشراقات من أسلوبه الذي يحاكي أساليب الكتب المقدسة، والأجنحة المتكسرّة هي قصة قلبين ربطهما الحبّ السماوي برباط قدسي فتفاهمت روحان وتلاقى حبيبان على دروب من الاحترام والمودّة والوفاء، أحبّ جبران سلمى كرامة وهي " حلا الظاهر"

[1] –الأعمال الكاملة , جبران خليل جبران ,ميخائيل نعيمة , مجلد 3,, دار العلم للملايين , بيروت , ص 235

[2] –النزعة الروحية في أدب جبران ونعيمة , ريموند قبعين , ص 74

[3] – ينظر جبران خليل جبران عبقري من لبنان , فوزي عطوي ,ص 45.

ولكن تدخل الإقطاع الزمني ، جعل الحبيبة تزّف إلى غير الحبيب ، فإذا الحب قربان تنحره الشهوات وتعصف به الأطماع .[1]

ومن خلال هذه الرواية تظهر صورة جبران التي تدرجت محببة من شغف فتى في صباح العمر بامرأة حسناء إلى نوع من تلك العبادة الخرساء التي يشعر بها الصبيّ اليتيم نحو أمه الساكنة في الأبدية ، والتي تحولت صبابته إلى كآبة عمياء لا ترى غير نفسها ، ولغة الذي كان يستدر الدموع من عينه إلى وله يستقطر الدّم من قلبه ، إنها صورة جبران الثائر على مفاسد المجتمع ، وعلى استغلال النفود من قبل اللصوص والمحتالين ذوي النفوس المعوجة والأخلاق الفاسدة صورة الرجل المنعزل عن النّاس ، ولا رفيق له سوى أحلام وتأملات تتصاعد بنفسه تارة فتبلغها الكواكب وتنخفض بقلبه طورا فتلحده بجوف الأرض .

وبصورة عامة فإنّ الأحداث والصور والخواطر التي ارتسمت في هذه الرواية تدور في جوّ من الصوفية المشرقة ، والرومنطيقية الساهرة ، والوجد النفسي الباهر ، وهنا تظهر النزعة التأملية [2].

المواكب :

وهو ديوان الشعر الوحيد الذي أصدره جبران عام 1918م، وهذا الديوان عبارة عن قصيدة طويلة متكونة من 230 بيتا[3] ، وفيها نظرات فلسفية في أهم شؤون الحياة البشرية كالخير والشّر والدين والحق والعدل وما إلى ذلك، وتعتبر عهد الفلسفة والتأمل، والنظر إلى بعيد ولقد جاءت متمثلة لهذا كل التمثيل، ففيها الكلام الليّن اللطيف الذي يدلي به الفتى المليء بالشباب والحيوية ، وفيها التفلسف والعمق الذي تمليه تجارب الشيخ وحكمته [4]، وفيها آراء شتى وحكم متناثرة تدور في مجملها حول

[1] – ينظر جبران خليل جبران عبقري من لبنان , فوزي عطوي , ص 31.

[2] – ينظر, المرجع نفسه, ص39.

[3] –المرجع نفسه ص 26.

[4] –ينظر , الجامع في الأدب العربي , الأدب الحديث , حنّا الفاخوري , دار الجيل , بيروت , لبنان , ط1, 1986, ص229, 223.

قضايا الحياة[1]. ونهاية المواكب تظهر استحالة تحقيق الحرية والسعادة ، ومن هنا يصطبغ رجاء جبران باليأس.

[1] –ينظر جبران خليل جبران , عبقري من لبنان , فوزي عطوي , ص 26.

الفصل الثاني

المبحث الأول: " سيرته الذاتية والأدبية "

أولا: نسبه و مولده ونشأته

هو أبو القاسم بن محمد بن أبي القاسم الشابي [1]، ولد في يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شباط 1909 الموافق للثالث من شهر صفر سنة 1327م في قرية الشابية ,وهي من ضواحي توزر من الجنوب التونسي [2]، وهذه المنطقة تدعى بلاد الجريد ومعناها بلاد النخيل .[3]

والده هو محمد الشابي غادر تونس سنة 1901 إلى مصر وهو في الثانية والعشرين من عمره, ليتلقى العلم في الجامع الأزهر في القاهرة ، وقد مكث فيها سبع سنوات ، ثم عاد بعدها إلى تونس يحمل إجازة الأزهر ، وبعد عودته من مصر تزوج ورزق ابنه البكر أبا القاسم الشابي ، وقد عمل محمد الشابي في سلك القضاء وقد قضى حياته المسلكية في القضاء منتقلا في رحاب الديار التونسية إلى أن مرض مرضه الأخير وهو في غزوان سنة1929 ,ورغب في العودة إلى توزر ، ولم يعش محمد الشابي طويلا بعد رجوعه إلى توزر ، وتوفي في الثامن من سبتمبر 1929م، وقد كان رجلا صالحا يقضي يومه بين المسجد والمحكمة والمنزل ، وفي هذا الجو نشأ أبو القاسم الشابي ، ومن المعروف أنّ للشابي أخوان هما: عبد الحميد ومحمد الأمين. وكان هذا الأخير أول وزير للتعليم في الوزارة الدستورية الأولى في عهد الاستقلال فتولّى المنصب من عام 1956 إلى 1958م .[4]

وقد بدأ الشابي تعليمه في الكتاب فحفظ القرآن وهو لا يزال في سن التاسعة ، وقد كان والده وهو خريج الأزهر يلقنه مبادئ العلوم ، وسمح له بقراءة كتب الدين والتصوف والفلسفة ، وفي الثانية عشرة التحق بالزيتونة في تونس 1921م وقد تخرج منها عام 1928م ، وقد كان انتقاله إلى العاصمة

---

[1] – الجامع في تاريخ الأدب العربي , الأدب الحديث , حنّا الفاخوري , دار الجيل , بيروت , لبنان ,ط1, 1986 , ص555

[2] –أبو القاسم الشابّي , أشرف معتز, دار الإسراء ودار الوضاح للنشر والتوزيع , عمان , الأردن , ط1, 2005, ص7

[3] – أبو القاسم , الشابّي , دراسات في حياته وأدبه , بحث مقدم من الطالب , فخري , أحمد حسين طملية , 1973, 1974, جامعة الأزهر ,كلية اللغة العربية , الدراسات العليا – الأدب والنقد , ص 22

[4] – ينظر , أبو القاسم الشابي , أشرف معتز , ص 7, 8.

نقطة تحوّل في حياته ، لأنه وجد فيها الانطلاق والتحرّر والنشاط الأدبي ، وفيها قرأ الكثير من إنتاج الأدب المهجري الذي وجهه إلى نقد الحياة والثورة على الأوضاع ، كما وجهه إلى الصوفية وإلى الأسلوب الساخر ، إلى جانب قراءاته في أمهات الأدب العربي القديم ، ثمّ التحق بكلية الحقوق التونسية وتخرّج منها سنة 1930م ، وكان في كل هذه المراحل يشارك في الحياة الأدبية مشاركة جادة ويتزعم الاتجاه إلى إصلاح التعليم ، وتأسيس الجمعيات مثل : "جمعية الشبّان المسلمين "و "النادي الأدبي ".

أما عن حياته الخاصة فقد تزوّج الشابي وكان له طفلان ولم يكن موفقا في حياته الزوجية, لأنّ زواجه المبكر كان إرضاء لوالده من جهة ، ومن جهة أخرى لأنه لم يجد في زوجته الصورة الشعرية التي رسمها في شعره للمرأة .[1]

الشابي ومدرسة أبولو:

لقد كان الشابي متأثرا تأثرا مباشرا بجماعة أبولو، تلك المدرسة الأدبية التي أقامها الدكتور أحمد زكي أبو شادي في سبتمبر 1932م وتمتاز هذه المدرسة بدعوتها للتجديد ، وقد ضمت في عضويتها العديد من الشعراء والأدباء العرب، وانتسب أبو القاسم إلى هذه الهيئة التي لا طالما قرأ مجلتها –أبولو– ووجد فيها ما يروي ظمأه في تطلّعه نحو الجديد ونشرت له هذه المجلة بعض قصائده قبل أن ينتسب إلى عضويتها، ولكنه سرعان ما اشترك فيها ، وقوبل اشتراكه بالترحيب ، وقد ربط أبا القاسم صداقات حميمية بعدد من أعضاء هذه الهيئة من أمثال إبراهيم ناجي وعبد العزيز عتيق وأحمد زكي أبو شادي، وقد كان هذا الأخير شديد الإعجاب بعبقرية الشابي الشعرية ، وقد نشر الشابي في مجلة أبولو أربع عشرة قصيدة وثلاث مقطوعات كان آخرها قصيدة " إرادة الحياة " ، وقد كان لهذه المجلة الفضل الكبير في تعريف أبي القاسم الشابي للعديد من قراء العربية.[2]

الشابي والمدرسة المهجرية:

[1] –ينظر , التعريف بالأدب التونسي , رضوان إبراهيم , الدار العربية للكتاب , ليبيا , تونس , د/ط, 1977, ص 105, 106.

[2] – ينظر , أبو القاسم الشابي , دراسات في حياته وأدبه , بحث مقدم من طرف الطالب , فخري أحمد حسين طملية , ص 117.

لقد كان الشابي شديد الشغف بالقراءة والمطالعة ، فهو ونظرا لقصر عمره إلا أنه اطلع على العديد مما أنتجه الأدباء العرب، فمن تأثره بالأدب القديم نظرا للثقافة الواسعة التي كان يتميز بها والده والمكتبة المنزلية المليئة بأمهات كتب العرب من أمثال الأفغاني والشعر والشعراء .....الخ، إضافة إلى أنه قرأ الآداب الأجنبية المترجمة ثم تأثره بجماعة أبولو وأخيرا تأثره بشعراء المدرسة المهجرية ، حيث أنك تلمس عنده النقد اللاذع والحرب على الإنسانية المعذبة ، والسخرية المرّة بالحياة الرّاكدة وهذه أهم ما امتازت به المدرسة المهجرية ، وقد كان الشابي متأثرا كثيرا بزعيم المدرسة المهجرية جبران خليل جبران .[1]

شخصية أبو القاسم الشابي :

إنّ الشابي هو شاعر متفرّد بخصائصه الذاتية ، معروف بسماته الخاصة ، واضح بعواطفه وأفكاره[2]، وقد وصفه شقيقه "محمد الأمين الشابي " وقال عنه أنه " نحيف الجسم ، مديد القامة ، قوي البديهة, سريع الانفعال حاد الذهن .....يراه أصدقاءه بشوشا كريما وديعا، متأنقا ، طروبا لمجالس الأدب ، يحب الفكاهة الأدبية....."."[3]

كما أنّ الشابي من الشخصيات التي لا تغنيك منها الوقفة العاجلة ، ولكنّه شخصية غنيّة سخيّة ، إذا عدت إليها مرّة بعد أخرى ، فلا بدّ أن تخرج من مصاحبتها بزاد جديد وثورة نفيسة ، وأعظم ما في هذا الشاعر الكبير صحّة فهمه لرسالة الشعر ، إنّه صوت عميق بقية من تلك القلّة الخالدة من الشعراء والفنانين، الذين يغمسون أقلامهم وريشتهم في الدماء ويرسمون بدم قلوبهم قبل أن يرسموا بالألفاظ والألوان .[4]

[1] -ينظر المرجع نفسه , ص122.

[2] – الشابي وجبران , خليفة محمد التليسي , دار العربية للكتاب , د/بلد, ط4, 1978, ص 34

[3] -ينظر , الجامع في تاريخ الأدب العربي , الأدب الحديث , حنّا الفاخوري ص 556.

[4] -ينظر , الشابي وجبران , خليفة محمد التليسي , ص 7, 8.

والثورة على التقاليد الاجتماعية والأدبية النّاقمة على الأوضاع الفاسدة، والامتياز بالذاتية الخاصة والعكوف عليها والتعبير عما يجري في جوانحه من صراع عاطفي عنيف[1]، وهي أيضا شخصية رومانسية عميقة ، وذات خيال فسيح وعاطفة متنوعة ، كما أنه واسع الخيال ، بعيد المدى، شديد الشغف بالطبيعة ، يؤمن بها ويعبد ما فيها من سحر وجمال ،[2]

ولعّل أهم سمة تغلب على الشابي هي سمة التشاؤم والحزن، الذي لا طالما عمر قلبه وخالط نفسه ، حتى في اللحظات القليلة التي كان يشعر فيها بلذة الحياة فأنت تجده يبكي دائما ، وإن ضحك اختلطت دموع حزنه مع دموع سروره، وكان سبب هذا الحزن هو موت والده الذي ترك له فراغا كبيرا، وموت حبيبته التي توفيت وهي برعم لم يتفتح، فتفجرت في حنياه بواعث العذاب وأصبح عدوّه الموت.[3]

ولقد اتفق الكثير من الأدباء والنقّاد العرب على تمجيد الشابي والإشادة بعبقريته، وبعضهم يرى أنّ الشابي كان شاعرا كاملا، أحبّ الجمال وأحبّ الحياة, وأحبّ وطنه وأحبّ الكون وأحبّ الحرية، وكان هذا الحب ممتازا في شاعر ممتاز ونفس ممتازة .

وأخيرا إنّ الشابي بلغ سمة عالمية؛ حيث ترجم العديد من شعره إلى الفرنسية ونقلت له مجلة " أبلا" الفرنسية ثلاث قصائد في أعدادها السادس والثلاثون والسابع والثلاثون والسادس والأربعين ، كما ترجمت بعض قصائده إلى الإنجليزية والسويدية ، وأصدر أبو القاسم محمد كرّو كتابا عنه بالفرنسية، وبهذا يكون الشابي قد تجاوز حدود وطنه ليضحي شاعرا عالميا ، خاصة في أشعاره التي قالها في مرحلة نضجه الفني ، فهو مثل " طاغور ولامرتين " الذين يقولون ويكتبون لتسمع إليهم جميع أمم العالم على اختلاف ألسنتهم وأجناسهم وأديانهم .[4]

---

[1] -المرجع نفسه , ص 44.

[2] - ينظر , المرجع نفسه , ص 154, 155.

[3] -ينظر , أبو القاسم دراسات في حياته وأدبه , بحث مقدم من طرف الطالب فخري محمد حسين طملية ,ص 41, 43.

[4] -ينظر, أبو القاسم دراسات في حياته وأدبه , بحث مقدم من طرف الطالب فخري محمد حسين طملية ,ص 128, 129, 130.

إذن أبو القاسم الشابي هو شاعر وأديب عربي وعالمي استطاع بفكره المذهل والواسع أن يصل إلى العالم .

ثانياً: مرضه ووفاته.

اختلف الكثير من الدارسين حول مرض أبي القاسم الشابي، وأجمع الكثير منهم على أنه توفيّ بداء الرئة، إلا أنّ الشابي كان يشكو من تضخّم القلب؛ حيث يوضح ذلك طبيبه الخاص ، "الدكتور محمد الماطري" والذي أفاد أنّ الشابي كان يعاني من ضيق في الأذنية القلبية، أي أنّ دوران دمه الرئوي لم يكن كافيا ، وهذا المرض يجعل سيلان الدمّ في الشرايين من الأذنية اليسرى ، نحو البطنية اليسرى سيلانا صعبا.

وقد كان الشابي ضعيف البنية ، نشأ متنقلا وربما إصابته بهذا الضيق وهو لم يزل صغير السن ، ضاق قلبه وضاقت رئته ، فلم يعد يتنفّس تنفسا عاديا ، ولكن أهم ما في المرض أنه يغيّر نفسية المريض ، وهو أمر هام جدا إذا كان المريض فنانا حقيقيا ، وقد منع الأطباء أبا القاسم من ممارسة الجري واللعب بالكرة ومن السباحة وقد ترك ذلك ألما نفسيا عاناه الشاعر كلّما همّ باللعب مع أصدقائه، وقد عانى الشابي من هذا المرض طيلة خمس سنوات 1929م إلى 1934م وهذه المرحلة لم تكن فترة مرض الشاعر فحسب ، بل كانت فترة نضجه وعبقرته [1]، وفي آخر عام 1933اشتدت عليه الآلام فاضطر إلى ملازمة الفراش مدّة، فأعيا الداء على التمريض المنزلي فغادر الشابي توزر إلى العاصمة في 26 أوت 1934، فدخل مستشفى الطليان في العاصمة التونسية في اليوم الثالث من شهر أكتوبر قبل وفاته بستة أيام، ويظهر من سجل المستشفى أنّ أبا القاسم الشابي كان مصابا بمرض القلب.

توفيّ الشاعر في المستشفى في التاسع من أكتوبر من عام 1934م فجرا في الساعة الرابعة من صباح يوم الاثنين الموافق لليوم الأول من رجب سنة 1335، ونقل جثمان الشابي في اليوم الذي توفي فيه إلى توزر ودفن فيها ، وقد نال الشابي بعد موته قيمة وعناية كبيرة وتكريما له، وقد تألفت سنة

[1] – ينظر , المرجع نفسه, ص 36و37.

1946م في تونس لجنة لإقامة ضريح له ونُقل الجثمان إليه باحتفال جرى يوم الجمعة في السادس عشر من جماد الثانية عام1365.[1]

ثقافة أبو القاسم الشابي :

لقد كان أبو القاسم الشابي ذا ثقافة كبيرة وواسعة، وذلك نظرا لكونه محبا للمطالعة ، حيث أنه كان يزور مكتبة الخلدونية مساء كل يوم ، وهو لا يزال شابا ، وكان يقوم بانكباب على مؤلفاتها ومجلّداتها الضخمة ولا ينصرف بصره عن مطالعة كتاب إلا إلى غيره، وقد كان المطالعين غيره متعجّبين ومتسائلين كيف لشاب مثله، أن يفهم ما ترمي إليه هذه الكتب، وكان البعض ينظر إليه نظرة الشفق على ضياع وقت هذا الفتى الذي لا يزال شابا ،وقد كانوا يتحدثون عنه همسا، ولا يبخل أحدهم أن يشير إليه نظرة الهازئ الساخر[2] ، إضافة إلى هذا نجد أنّ الشابي لم يطلع على الكتب والمجلدات العربية فقط، بل اطلع أيضا على المؤلفات الأجنبية، وذلك بالرغم من جهله للغات الأجنبية فلجأ إلى المترجمات وقرأ تاريخ الآداب الغربية واطلع على فنونها وقد أكثر من قراءة كتب "لا مرتين " و"جوته"، وبهذا أصبح ذا إلمام واسع بالأدبين الفرنسي والانجليزي، وصار يتحدث فيها كمن نال أكبر الشهادات في الآداب الغربية . وبعد يتضح لنا أنّ أبا القاسم الشابي كان أديبا وشاعرا بكل ما تحمله الكلمة من معنى .[3]

[1] – أبو القاسم الشابي , أشرف معتز , ص 11

[2] –أبو القاسم الشابي دراسات في حياته وأدبه , تقديم الطالب , فخري محمد حسين طملية , ص 24, 25.

[3] –ينظر ,حياة أبي القاسم الشابي , ابراهيم أبو رقمة , مقال ورد في كتاب , دراسات عن الشابي , اعداد محمد كرّو , دار المغرب العربي , تونس , د/ط , د/س ,ص 72.

ثالثا: أدب ومؤلفات أبو القاسم الشابي:

1-أدب الشابي :

لقد ابتدأ الشابي حياته الأدبية مقلدا للشعر القديم كعادة كلّ ناشئ، ولكنّه سرعان ما تمرّد على هذا الأدب وحمل معوّلا هوى به على جذوعه الخائرة مركّزا آراءه ومذهبه الأدبي في محاضرة أثارت ضجة كبرى في الأوساط الأدبية حين ذاك سنة 1928م[1]، وعنوانها الخيال الشعري عند العرب، التي حمّل فيها النفس العربية كل الذنوب في تأخرنا عن مواكبة حضارة العصر الحديث فنادى بتحرير الشعر العربي من القديم والاقتداء بأعلام الغرب في الفكر والخيال وأشكال التعبير، وتشدّد بالأحكام والنقد الفكري والأدبي، وقد عمل فيها على استعراض كلّ ما أنتجه العرب من شعر في مختلف الأزمنة وفي كلّ البلدان من القرن الخامس إلى القرن العشرين ومن الجزيرة إلى الأندلس .[2]

وقد أخذ الشابي هذه المحاضرة منهاجا يسير عليه فيما أنتج من الشعر بعد ذلك، فهي تعتبر مفتاح تجربته الشعرية وتحديدا واضحا لملامحها، وبذلك استطاع الشابي أن يخلص لمذهبه إخلاصا رائعا، وأن يظلّ أمينا حريصا على هذه المبادئ، التي تسرّبها وتسرّبت إليه من مطالعاته، وقد ظلّ يعيش لهذه القضية الأدبية، ولم يتحوّل عنها رغم ما أصابه من جرّائها من نعت وجور.

والسبب الرئيسي في الدعوة إلى هذا التجديد لم يكن سوى سئم العيش في متاحف الجثث المحنطة، فدعا إلى التطور والسير مع الحياة التي تكره المتقاعدين المتخاذلين ، الذين يعيشون في مقابر الأجداد، وقد كان الشابي في دعوته هذه قاسيا شديدا ، لأنّ هذه القصة لا حلّ لها سوى القسوة التي لا تعرف الإشفاق للوصول إلى طريق السلامة، وهكذا اندفع مع ثورة الشباب، الذي وعى مفاهيم جديدة للحياة وعمل معنى جديدا للأدب فلم يرحم الضعف ولم يهادن الاستسلام .[3]

---

[1] – الشابي وجبران , خليفة محمد التليسي ,ص18.

[2] –ينظر ,أبو القاسم الشابي , أشرف معتز , ص 9.

[3] – ينظر, الشابي وجبران , خليفة محمد التليسي , ص 18 . 19 .

ولقد كان الشابي في شعره ثائرا متمرّدا ذا إحساس بضرورة البعث والتطوّر لكلّ البلدان العربية، وخاصة وطنه تونس، فالشابي التزم بوطنية عظيمة حيث لم يحدث لأديب أن تعلّق بقضية وطنه مثل الشابي، فقد كان يسعى دائما لتحسين أوضاع بلاده ، والإشارة الأولى في وطنية الشابي اندلعت من اصطدامه بالواقع الاجتماعي المتخلّف ، فهي وطنية صارخة ذات حملات نارية عنيفة ، وهي لم تكن موجهة إلى الاستعمار الذي كبّل مجتمعه وعوقه عن الحياة بمقدار ما هي موجهة إلى هذه النزعة التي حبست أنفاس الشعب وقيّدته، وشدّته إلى العصور القديمة البالية ومفاهيمها العتيقة، وهو لم يكن كافرا بالقديم العريق ولكنه كان كافرا بالعقلية التي تريد إيقاف الناس عنده ، فهو يرى أنّ ليس في الأرض أشقى من شعب يعيش على أمجاد تاريخية وحياته الحاضرة خالية من كل مجد ، إذ أنه كان يرى حياة شعب حياة خالية من كلّ صور الحضارة الإنسانية ، حتى لتبدوا في جفافها كالصحراء القاحلة لا تختص الطير، ولا تنبت الزهر، ولا يجودها سحاب، ومثل هذه الحياة كانت تذيب مهجة الشابي، وتلقي في نفسه نقمة على الجمود، وصراع الشابي مع مجتمعه ليس سوى صراع الحركة الخالقة المبدعة مع الركود الجامد المميت، والشابي كان يطمح لحياة عليا لوطنه، مليئة بالحب والحق والجمال والقوة والعدل.

فوطنية الشابي وطنية صادقة لا تخدم أغراض طبقية، ولا تسير في ركاب حزب، ولا توحيها مناسبة هزيلة ضئيلة لا تخرج في سطحيتها وبرودها عن تعليق الصحف، إنها وطنية متمرّدة وطنية الشاعر الذي وعى رسالته، فأحس في أعماقه أنه مسؤول عن تبصير شعبه بمعاني الحياة الحرّة الكريمة ، وطنية شاعر أحبّ لشعبه أن يحقق ذلك في شخصية متميزة تتجه إلى المساهمة الحضارية الخالقة، وقد آمن أنّ طريق النهضة والتفوق هو يقظة الحسّ، وأبرز صفات هذه اليقظة أنها تمنح المجتمع ذاتية متفرّدة، وشخصية متكاملة، ومشاركة واعية متفهمة.[1]

[1] – ينظر الشابي وجبران , خليفة محمد التليسي , ص 64, 65, 66, 67, 68, 69, 70,71.

2-مراحل أدب الشابي :

لشعر الشابي مراحل من حيث الروح والوحي, وتتجلى فيها نزعات كبرى ومطارح إلهامه الشعري ومحطات اختلاجه النفسية والعاطفية :

أ-مرحلة الأدب الأندلسي والمهجري:

عندما تفتحت قريحة الشاعر راح يجاري الأندلسيين في طريقة نظمهم وفي أساليب تصوّرهم للحياة ، ثم في نهج الزخرفة والتنميق ، حتى كان شعره من شعرهم وصياغته من صياغتهم ، ولكن هذه المجاراة لم تدم طويلا ، فقد ترامت إليه أخبار أدباء المهجر ، فاطلع على آثارهم، وغرقت في نفسه ثورتهم الاجتماعية وتطلعاتهم المستقبلية وحرّك أوتار شاعريته أسلوبهم الجديد في الكتابة والشعر، فأراد أن ينهج منهجهم في التوعية وأن يسلك مسلكهم في الأدب، فنزع نزعة صوفية رواقية وفتح نوافذ نفسه على الإنسانية المعذّبة، وراح يهاجم المجتمع المتحجّر ويدعوا إلى التجديد في الحياة[1] ، وإلى جانب هذا التأثير المهجري، نجد تأثيرا آخر كان له في شعر الشابي أصداء بعيدة الأغوار، وهو شعر الرومنطيقية الأوروبية الحافل بالألم والقلق والذكريات والحنين المتدفق حزنا وفرحا الغارق في خضّم من التأمل.

إذن الشابي في هذه المرحلة جمع بين العصف المهجري واللين الرومنطيقي, فتنطلق معاني الكآبة والحزن انطلاقا لا حدّ له، وتذهب في تفهم الحياة مذاهب مختلفة تختلج فيها الثورة واليأس والأمل والألم، والشابي أبدا عميق النظرة، بعيد الرؤيا وافر الإنسانية ، فياض القريحة .

ب-مرحلة المواجهة مع الموت :

توفي والد الشاعر فكانت وفاته صدمة عنيفة هزت كيانه، فنظم الشابي قصيدته الشهيرة "يا موت". ومنذ ذلك الحين تبدّلت حياة الشاعر وساءت حالته الصحية ، وراح الألم يذيب نفسه وقلبه، في هذه الأجواء المليئة باليأس والشقاء والعزلة راح ينظم أجمل شعره في وصف الطبيعة وسحر الوجود.

ج-مرحلة المأساة والفاجعة :

[1] -ينظر الجامع في تاريخ الأدب العربي , الأدب الحديث , حنّا الفاخوري, ص 557, 558.

اشتدّ ألم الشاعر واشتدّت عليه وطأة الداء، وأحس أنّ النهاية قد اقتربت، فراح يتبرّم وراح يتسخّط الوجود، ويستغيث بالموت علّه يريحه من شقاءه، وشعره في هذه المرحلة شعر النضوج الصاخب وشعر الاندفاق الوجودي الذي يهزّ كيان الوجود .[1]

3-مؤلفاته :

تجربة الشابي الشعرية تجربة غنيّة وسخيّة ,وقد ترك لنا الشّاعر من الآثار الأدبية ما يكون في مجموعة متناسقة لتجربته الإبداعية ورسما واضحا لملامحها ، ومنها النثرية والشعرية ، أهمها :

ديوان أغاني الحياة : وهو في مئة وأربع وتسعين صفحة ، يضمّ تسعين قصيدة ومقطوعة شعرية ، طُبع الديوان في مصر سنة1955م ، التزمت بطبعه ونشره دار الكتب الشرقية ، اختار الشابي لديوانه اسم أغاني الحياة ،واعتزم طبعه في مصر بإشراف وتقديم صديقه الدكتور" أحمد زكي أبو شادي"وقد أعلن أبو شادي في مجلة أبولو عن قرب ظهور ديوان الشابي " أغاني الحياة" ، إلا إنّ مرض الشابي ووفاته بعد ذلك في التاسع من اكتوبر عام 1934م حال دون ظهوره أنداك ، مات الشابي والديوان ينتظر من يقوم بطبعه وتوزيعه ، وانتظره عشاق الشابي بفارغ الصبر ، ولكن الديوان لم ينشر إلى عام 1955م بعد احدى وعشرين سنة من وفاة صاحبه ، وقد افتقد الديوان في إخراجه إلى الكثير من مميّزات الديوان الجيد، ولعلّ أهمها افتقاده تاريخ القصائد ، التي تتيح للدارس تتبّع مراحل التطوّر التي مرّ بها أبو القاسم الشابي في حياته الأدبية ، مع أنّ أبا القاسم كان قد رتّب القصائد وفقا لتواريخها، إضافة إلى أنّ هذا الديوان نقصه الترتيب والتبويب، فلم ترتب القصائد فيه وفق أبجدية القوافي، أو وفق موضوعاتها، وكذلك وجدت أخطاء عديدة في الطباعة.[2]

الخيال الشعري عند العرب: وهي محاضرة ألقاها الشاعر تحت إشراف النادي الأدبي التابع لقدماء خريجي المدرسة الصادقية في تونس ، وقد ألقاها في قاعة الجمعية الخلدونية سنة 1929م، ويقع

[1] – ينظر ,الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث , حنّا الفاخوري , ص 558, 559.

[2] -ينظر , أبو القاسم الشابي دراسات في حياته وأدبه , بحث مقدم من طرف الطالب محمد حسين طملية , ص 107

هذا الكتاب في مئة وأربعين صفحة من القطع المتوسط، وقد طبع هذا الكتاب في نفس السنة ، وتوّلت نشره دار العبوب للطبع والنشر في تونس لصاحبها زين العابدين السنوسي ، وهو الذي كتب مقدمة الكتاب ، وقد تناول موضوع هذا الكتاب دراسة نقدية مقارنة بين الخيال الشعري عند العرب وعند الأوروبيين.

المقبرة: رواية غير منشورة ذكرها الأستاذ محمد كرّو ، نقلا عن الأستاذ زين العابدين سنوسي في كتابه الأخير في القرن الرابع هجري .

جميل بثينة: قصة جميلة كانت موجودة عند شقيقه الأستاذ أمين الشابي .

شعراء المغرب العربي: دراسة في كتاب الأستاذ محمد العباسي القباج " الأدب العربي في المغرب الأقصى، تناول الشابي الجزء الخاص بالشعراء الشبان بالدراسة والتحليل وقد ظلت هذه المحاضرة مخطوطة ولم تطبع نظرا لعدم حضور الجمهور لسماعها .[1]

يوميات الشابي: وهي مجموعة من المذكرات اليومية كتب فيها الشاعر خواطره، وقد كانت موجودة عند صديقه الأستاذ أبو رقمة بمدينة صفاقس .

رسائل الشابي: كان قد وجّهها لأصدقائه، وهي تحمل الكثير من وجهات نظره ومن أشهر أصدقائه الذين تبادل معهم الرسائل نجد : محمّد الحلوى، أحمد زكي أبو شادي وإبراهيم ناجي .

الأدب العربي في العصر الحاضر :وهي دراسة تقع في احدى عشرة صفحة قدّم بها ديوان "الينبوع" للشاعر أبي شادي ، ضمنها آراء في الأدب الحديث ورأيه في الشاعر الدكتور أحمد زكي أبو شادي .

السكير : وهي مسرحية ذات فصلين .

[1] -ينظر , المرجع نفسه , ص 108, 109, 110.

الهجرة المحمدية :محاضرة ألقاها الشاعر في " نادي الطلاب "، بمناسبة ذكرى الهجرة المحمدية في سنة 1351 .

كما كان للشابي العديد من المقالات المختلفة نشرها في العديد من الصحف العربية في مصر وتونس، أهمها: النفس التائهة ، اليقظة الإسلامية الحاضرة ، أيها القلب ، يقظة الإحساس وأثرها في الفرد والجماعة، الشعر والشاعر عندنا، لصوصية الشعر، الفنون والنفس العربية، أغنية الألم، صفحات دامية من حياة شاعر، روح ثائرة .[1]

4- أسلوب الشابي: لقد كان الشابي ذا أسلوب رائع يتميّز بقوّة ألفاظه ومعانيه , ومن أهم الدعائم الأولى التي يقوم عليها أسلوب الشابي أناقة التعبير ورصانته، وأصالته كما يمتاز ببعده عن النثرية السطحية التي أخذت على كثير من شعراء المدرسة الحديثة، وخاصة شعراء المدرسة المهجرية، فهو أسلوب ينساب في عفوية وبساطة رصينة، بساطة من أدرك موضع اللفظ، ومدى قوّته التصويرية والموسيقية، حتّى إذا استولت عليه شهوة النظم ، تدفقت شاعريته في سماحة ويسر لا يشعران القارئ بأي مجهود إلا بمقدار ما يشعرك النهر المتدفق نحو البحار بقوّة النبع الذي يصدر عنه، وتلك صفة لا ينالها إلا من عاش معنى اللفظ ، وأحسّ بما فيه من رصيد شعوري لا يقوم إلا على الرنين اللفظي الذي يأسر الآذان، وهو يقوم على العاطفة المتقدة ، كما أنّ أسلوبه واضح لا يحتاج إلى شرح أو إعنات قريحة في فك تعابيره.

وقوة أسلوب الشابي ليست في ألفاظه رغم براعته في استخدامها ، ورغم تورثه في الألفاظ اللونية والصوتية التي يستعملها في براعة الرسام النابغ والموسيقي العبقري ، ولكنّها في قوّة إحساسه ، إنه أسلوب تحسّه قبل أن تفهمه، لأن الروح التي تسري فيه تأخذ عليك طريقك وتحاصرك فلا تعرف تحديد موضع القوّة فيه، وقوّة الإحساس هي كلّ شيء في فنّه وشاعريته، هي التي تخلق ألفاظه ومعانيه المتمرّدة المتحرّرة في مواضع السخط والتمرّد ، وهي التي تتدفق بالألفاظ اللينة الوديعة في مواضع اللّين والضراعة

[1] - المرجع نفسه , ص 111, 112.

وقد وجهته هذه القوة توجيها خطابيا فلم يستطع أن يتخلّص من تلك الصفة التي أخذها عن الشعر العربي .

كما أنّ أسلوب الشابي يتميّز بصور فنّية فاتنة ، عمل الخيال في تلوينها وأبدعتها عبقرية تستقبل الحياة بأكثر من حاسة وهذا ما كان يميّز الشابي عن غيره ، والتجسيم والتشخيص هي إحدى الملكات التي يتمتّع بها أسلوب الشابي وتساعد على إبراز معانيه وتعبير عمّا في نفسه ويتجلّى ذلك بإحساسه بالطبيعة، ذلك الإحساس الذي يجعل منه شخصا يشاركه ويبادله الشعور بأفراح الحياة وآلامها .[1]

إضافة إلى هذا فإنّ أسلوب الشابي يتميّز بفلسفة خاصة ، بحيث أنّ نفسه التي صقلها الألم وأغرقها في أعماق أعماقها ووجّهها شطر الصفاء الإنساني الواسع مالت إلى العزلة وتتأمل وتناجي الذات التونسية المتأملة، إذ ترى الوجود من خلال ذاتها وترى ذاتها في كلّ ظاهرة من ظاهرات الطبيعة.[2]

[1] – ينظر , الشابي وجبران , خليفة محمد التليسي , ص 101, 102, 103, 105.

[2] –الجامع في تاريخ الأدب العرب الأدب الحديث , حنّا الفاخوري , ص 556.

المبحث الثاني : أبو القاسم الشابي وأدبه التأمّلي

أولا : السياقات الفلسفية عند أبي القاسم الشابي

لقد كان أبو القاسم الشابي شاعراً رومانسيا محبوسا في أحزانه وتأملاته الذاتية وفلسفته الخاصة, القائمة على التمرد والإحساس الحاد بالألم والتشاؤم ، والتأمل في الطبيعة والوجود ومكنوناته والتأمل في الحياة والموت، وتعود هذه الفلسفة إلى عدّة ظروف تتمثّل في التأثر بأدب المهجر وبشعرائه وكذا وفاة والده التي كانت صدمة عنيفة هزت كيانه إضافة إلى وفاة حبيبته وهي لازلت في عمر الزهور ، كما أننا نجد من بين أسباب هذه الفلسفة أيضا وطنيته الصادقة وحبّه الكبير لبلده نتيجة الاستعمار الذي كان يريد السيطرة لا على الأرض فقط وإنما حتى على الأفكار ، وقد كان الشابي يريد النهوض بهذا المجتمع من هذه الأفكار البالية إلى التطوّر والحضارة ، وأخيرا مرضه الذي كان يعاني منه معاناة شديدة جعلته يتمنى الموت علّه يريحه من شقاءه ومرضه .[1]

ثانيا :تأملات أبو القاسم الشابي:

الشابي هو ظاهرة عربية في الأدب الحديث ، نضج في وقت مبكر من حياته واختطفه الموت في وقت جدّ مبكر وعاش حياة قصيرة ولكنها عميقة كأبطال الأساطير ، ويكمن هذا العمق في نزعته الرومانسية القائمة على التأمل والفلسفة لكلّ ما في الوجود ، وبما أن الشابي هو شاعر رومانسي ، فإنه قد ركزّ على الجانب الوجداني من التجربة الشعرية ، ومن أهم تأملات أبي القاسم الشابي نجد :

1-الطبيعة :

الطبيعة حيث أنّ الشابي كان يرى في الطبيعة كغيره من الأدباء الرومنسيين التأمليين، أنها أداة لبيان ما يدور في أنفسهم من عواطف وأحاسيس مشبوهة، ويظهر ذلك واضحا من خلال قصائد الشابي حيث لا تكاد تخلو من مظاهر الطبيعة، فمثلا قصيدة إرادة الحياة تتحوّل الطبيعة بأرضها ورياحها وغاباتها إلى شخوص حيّة يباذلها الحديث ويسألها عن حقائق الوجود، والشابي مزج بين إحساسه

[1] -ينظر, أبو القاسم الشابي , دراسات في حياته وأدبه , بحث مقدم من طرف الطالب محمد حسين طملية , 28, 84, 62, 123.

ومظاهر الطبيعة من حوله واتخذها مستودعا لأسراره وهمومه ، لأنه لم يجد أفضل من الطبيعة يلجأ إليها ويبثها شكواه, ويعود ذلك لعدّة أمور أهمها : ولادة الشاعر في منطقة جبلية ،[1] وتنقّله المستمر منذ صباه من منطقة إلى أخرى، أضف إلى ذلك تنكّره للأوضاع الاجتماعية، مما جعله يرى من الطبيعة مدعاة للسكون والاطمئنان النفسي [2]، والشابي لا يصوّر الطبيعة بغية اتخاذها مطيّة للتنعم والتسلية أو وسيلة من وسائل الراحة والاستجمام ، بل يصفها لأنه يقدّسها وينظر إليها نظرة عاطفية مثالية، ورغم أن أبا القاسم لم يفرد للطّبيعة قصائد كاملة أو مستقلة ، غير أنه لم يسرف في تنويع مظاهرها وتعداد مشاهدها ، إلا أنه وفق في وصفها وبرع فيه كلّ البراعة ، فهو لم يعتمد وصف مظاهرها الخارجية فحسب ولم يقف عند سطحيتها الجافة، وإنما لوصفها وصفا عميقا نحسّ منه تأجّج العاطفة وعمق التأمل وحدّة الشعور، وهذه الأحاسيس تكشف عن صلة حميمية بين الشاعر والوجود، ولا شك أن هذه النزعة التأملية في مظاهر الطبيعة تجري على تناسق تجارب الصوفية، التي تمّد الإنسانية بزادها الحي من المثاليات المشرقة. وأخيرا نرى أنّ الشابي كان يعبد الطبيعة عبادة عميقة تصل إلى درجة الفناء في جمالها الأخاذ وذلك لأنه وجد فيها عالمه الذي كان يأمله .[3]

2-الوطن والثورة : لقد كان للشابي فلسفة خاصة نحو وطنه، حيث كان يدعوا شعبه دائما للتمرّد على الاستعمار والأوضاع الاجتماعية متطلعا للحاضر ومستقبل أفضل ,ويظهر ذلك من خلال شعره؛ حيث وردت فيه كلمة شعب بمعناها الكامل وبطريقة تلقائية، يوم كان ينتفض انتفاضة الحرّية في بلاد العروبة كلّها، وأنّ الوطنية بمعناها الأمثل لازمت هذه الظاهرة في الشعر الشابي, فلقد اندمج في آمال شعبه لا ليخدعه ولا ليبكي معه، ولكن مبشرا بالحرية يدفع الشعب نحو فجرها دفعا قويّا بحرارة

[1]- مظاهر الرومنسية في شعر أبي القاسم الشابي , عبد الحميد أحمدي , "إضاءات نقدية , فصلية محكّمة ", السنة الأولى العدد الرابع , شتاء 1390ش ,كانون الأول 2011, ص 15 .

[2] -المرجع نفسه , ص 15 .

[3]- ينظر: الصورة الفنية في التجربة الرومنسية , ديوان أغاني الحياة لأبي القاسم الشابي أنموذجا , ,مذكرة لنيل شهادة الماجستير , إعداد يحياوي زكية, المناقشين , د, شتوان بوجمعة رئيسا , د محمد الهادي بوطارن مشرفا ومقررا , د عشي نصيرة ممتحنا , جامعة مولود معمري , تيزي وزو كلية الآداب قسم اللغة العربية و آدابها ,29 ماي 2011, ص 46, 47.

وجرأة كبيرتين[1] ،كما أنه كان يؤمن بفلسفة القوّة وأنّ البقاء للأفضل وقد قاوم اليأس واعتبره موتا، ودعا إلى الأخذ بالجسد والاجتهاد والمثابرة في العمل والدأب للوصول إلى المقام الذي يحقّق للأمة عزّتها وكرامتها ومجدها، كما دفع أفراد شعبه إلى التحالف والعزيمة والأخذ بأسبابها، فهي التي يخرّ أمامها كل معتد.[2]

3-الإحساس بالألم والتشاؤم :

من مظاهر النزعة التأملية عند الشابي إحساسه الحادّ بالألم والتشاؤم، ونظرا لأنه رومنسي المذهب فقد انعكست عليه ظاهرة التشاؤم أشدّ انعكاس، وقد عالج الشابي هذه الظاهرة في معظم قصائده لأنه عانى الأمرّين، ضغوطا نفسية وضغوطا جسمية. فالضغوط النفسية نتجت عن فقدان والده وفراق حبيبته، فضلا عن الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية المتردية التي لحقت بشعبه بسبب الاستعمار والتخلف، والضغوط الجسمية نتجت عن مرضه الذي عانى منه كثيرا ومن أبرز آلام الشابي ظلم المجتمع له، فهو يبذل قصار جهده للدفاع عن حق شعبه والرفع من مستواه الفكري والثقافي وتوفير السعادة له، ولكنّه لا يظفر عنده بإقبال وإجلال لذا تثور ثائرته وينقم على المجتمع الذي لا يكترث لنصائحه .[3]

4-فلسفة الموت والحياة:

لقد اختلف الكثير من النقاد حول فلسفة الموت والحياة عند أبي القاسم الشابي، فبعضهم يرى أنّ الشابي كان محبا للموت لأن مظاهر عشقه له تنشر عبر ديوانه، حيث يظهر أنّه كان مقبلا على الموت إقبالا ايجابيا واعيا راجيا أن يجد في صدره الراحة من هذا العالم المظلم، وهناك من رأى أنّ الشابي لم يعشق الموت حتّى لو شقيت الحياة ولم ير منه إلا استعلاء عندما أيقن أنّه سيموت قريبا، ولم يرحب

[1] – التعريف بالأدب التونسي. رضوان إبراهيم , 1977,ص 112

[2] –أبو القاسم الشابي دراسات في حياته وأدبه , بحث مقدم من طرف الطالب فخري أحمد , حسين طملية ,ص 75.

[3] – ينظر ,مظاهر الرومنسية في شعر أبي القاسم الشابي , عبد الحميد أحمدي , ص 20, 21.

الشابي بالموت إلا عندما اشتدّ عليه المرض الألم لا ينفعه الأطباء ولا التعاويذ والرقى فرحّب بالموت وشعر بتفاهة العيش، ولكن مع هذا لم تكن للشابي فلسفة في الموت بمعناها العميق، وإنما كل ما أثارته هي استفسارات حائرة تركها غائمة تنتظر جوابا، ولا عجب في ذلك فأبي القاسم شاعر مرهف الحس والمشاعر، وليس فيلسوفا .[1]

5-المرأة :

المرأة في شعر الشابي احتلت مكانة رفيعة لم يظفر بمثلها في الأدب القديم ، فقد اتجه الشابي إلى تقديسها والخضوع لسلطانها ، فعاطفة الحب عنده كانت بمثابة تجربة روحية ترتبط بالمعاني الطاهرة والعفة والصمود أمام الشهوات، هذه العاطفة الصادقة جعلته يرى المرأة ملاكا هبط من السماء ليطهّر النفوس من الأوساخ والأدران، ويرفع عنها الغمّة والأحزان ، ويسوقها إلى عالم الطهارة والأمان عالم الخيال والأحلام ، فالشاعر عندما يعالج هذا الموضوع في شعره تنصهر روحه بروح محبوبته ويحلقان معا في عالم الخيال والأحلام [2]، في عالم روحاني لا يوجد فيه إلا الحب الحقيقي الذي هو رمز السعادة الأبدية الخالدة ، وهنا تظهر فلسفة جديدة هي فلسفة الحب والوصل ، التي تذوب فيها الدنيا وتتلاشى فيها الهموم .[3]

وهكذا كانت فلسفة أبي القاسم الشابي متنوعة ومختلفة تجمع كل ما في الوجود من طبيعة وشعب ووطن وألم وتشاؤم وحياة وموت وحبّ...الخ.

ثالثا : ملامح النزعة التأملية في شعر الشابي

لقد كان للشابي شعر ذات توّجه فلسفي تأملي يتميّز بأسلوب جميل وجذاب , ولتأكيد هذه النزعة في شعر الشابي اخترنا بعض قصائده الموحية بذلك وهي قصيدة " إلى الغاب " و" قصيدة

[1] – ينظر , أبو القاسم الشابي دراسات في حياته وأدبه , بحث مقدم من طرف الطالب فخري محمد حسين طملية , ص 71, 74.

[2] –مظاهر الرومنسية في شعر أبي القاسم الشابي , , ,عبد الحميد أحمدي,ص18

[3] –الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث , حنّا الفاخوري , دار الجيل , بيروت , لبنان , ط1, 1986, ص 567.

"حديث المقبرة " وقصيدة " إرادة الحياة " وقصيدة " صلوات في هيكل الحب "وسنشرح كل واحدة ونوضح أهم ملامح النزعة التأملية فيها :

- **قصيدة " الغاب ":**

يشير الشابي في قصيدته "إلى الغاب" إلى الشعور الذي ينتابه عندما يكون في الغاب بين صفوف النخيل والتلاع الخضر والآجام ,إنه شعور يملئ عليه دنياه بهجة وسرورا ويسوقه إلى عالم من الخيال ينسى فيه الشاعر كل همومه وأحزانه، والشابي في هذه القصيدة يرى الغاب قبسا أضاء الطريق أمام نفسه التائهة في الظلمات الحالكة ، كما يراه وسيلة طهّرت نفسه من الأدران والأوساخ التي لحقت بها بسبب مجالستها جلساء السوء ثم يشير إلى أنّ الغاب معبد الروح والنفس والفكر الذي يجد فيه الشخص الراحة والطمأنينة ويتخلص به من هموم الحياة وأعباء المجتمع[1], ومنها قوله :

بيتٌ، بَنَتْه ليَ الحياةُ من الشّذَى والظلّ ، والأضواء ، وأنغامِ
بيتٌ ، من السحر الجميل، مُشَيّدٌ للحبّ ، والأحلام ، والإلهامِ
في الغاب سِحرٌ جميلٌ متجدّدٌ باق على الأيّام والأعوام[2]

ثم يقول :

في الغابِ، دنيا للخيال ، وللرّؤى، والشعر، والتفكير ،والأحلامِ
لله يوم مضيتُ أوّلَ مَرّةٍ للغاب ، أرزحُ تحت عبء سقامي
ودَخلتُه وحدي,وحوْلِي موكبٌ هزجٌ ، من الأحلامِ والأوهامِ
ومشيتُ تحت ضلاله مُتَهَيِّبًا كالطفل ، فِي صَمْت ، وفِي استسلامِ [3]

ويقول أيضا :

---

[1] –ينظر مظاهر الرومنسية في شعر أبي القاسم الشابي , عبد الحميد أحمدي , ص 15, 16.

[2] –ديوان أبو القاسم الشابي , أغاني الحياة , اعداد وتقديم أبو القاسم محمد كرّو , دار صادر , بيروت, لبنان , ط1, 1999, ص 221.

[3] – ديوان أبو القاسم الشابي , أغاني الحياة, اعداد وتقديم , أبو القاسم محمد كرّو ,ص 222

في الغابِ ، في الغابِ الحبيبِ ، وإنّه حَرَمُ الطبيعةِ والجمال السامي

طَهّرْتُ في نار الجمال مشاعري ولَقِيتُ في دنيا الخيال سلامِي

ونَسِيتُ دنيا الناس ، فهي سخافةٌ سَكْرى من الأوهام والآثَامِ!

وقَبسْتُ من عَطْفِ الوُجود وحُبّه وجماله قبسًا ، أضاءَ ظلامِي [1]

- **قصيدة" إرادة الحياة ":**

تعتبر قصيدة إرادة الحياة من القصائد الثورية الهامة في شعر الشابي ، وفيها يدعو أخاه الإنسان عامة والشعب التونسي خاصة إلى أن ينتفض ويتخلص من رائحة الموت والظلم ، بل إنه يدعو إلى اليقظة والثورة، إن هذه القصيدة قضية أن يكون أو لا يكون، فالاستعمار يجور في استعماره لتونس وللبلاد العربية، وإنه التوحش الذي لا يعرف معنى الإنسانية، ويمتصّ حياة المستضعفين ويثور الشاعر وأية ثورة، ويعمّق إحساسه بالحياة ويدفع بشعبه إلى النهوض حتى يحيا في النور والحرية، ويمزق جدار الصّمت والجمود ويعاود العطاء ويرسم الشّابي طريق الحريّة لشعبه, وكل شعب مستبد يركض في ظلام العبودية لذلك يعتبر أنّ ثقافة الحريّة لا تتحقق إلا بالإرادة الجماعية.[2]

فإرادة الحياة ليست إلا دعوة إلى البعث والطموح والتقدم والحرية، هي دعوة إلى الحياة والأمل في أعماقها ليكون الوجود المنشود, وإنها الوجدان المشتعل الذي يتدفّق نورا ونارا فتنموا البذور وثورة الأفنان، وتزهر الأرض وينتشر الشعب، وتهزم كل الظلمات ونلاحظ أن الشاعر لا يلين في دعوته إلى الوطنية الإنسانية، فإنه يشدد في تورثه فلا يقر بتردد أو مهادنة ، ويعنّف في اللغة الثورية وصولا إلى غايات بعيدة مهما كانت الصعاب والأهوال، فما كانت الحياة إلا علاء وعزة وإلا فهي مهانة،وعدم[3]

ومنها يقول الشاعر:

---

[1] -المرجع نفسه , ص 223, 224.

[2] – ينظر الصورة الفنية في التجربة الرومنسية , ديوان أبو القاسم الشابي أنمو دجا , مذكرة لنيل شهادة الماجستير , اعداد يحياوي زكية ص80.

[3] – ينظر ,المرجع نفسه, ص 80.

إذا الشّعْبُ يَوْمًا أرَادَ الحياة فَلا بُدّ أنْ يَسْتَجِيبَ القَدَرْ
وَلا بُـدَّ للّيْلِ أنْ يَنْجَلِي وَلا بُدَّ للقَيْدِ أنْ يَنْكَسِرْ
وَمَنْ لمْ يُعَانِقْهُ شَوْقُ الحَياةِ تَبَخّرَ في جَوّها، وانْدَثَرْ
فَوَيْلٌ لِمَنْ لمْ تَشُقْهُ الحَيَاةُ مِنْ صَفْعَةِ العدَمِ المُنْتَصِرْ
كَذلِكَ قالَتْ ليَ الكَائِنَاتُ وحَدّثَني روحُها المُستَتِرْ

. . .

ودَمْدَمَتْ الرّيحُ بَيْنَ الفِجَاجِ وَفَوْقَ الجِبَالِ وَتحَْتَ الشّجَرْ :[1]
"إذا ما طَمَحْتُ إلى غايَةٍ رَكِبْتُ المُنَى، ونَسِيتُ الحَذرْ
وَلمْ أتَجَنّبْ وُعُورَ الشِّعَابِ وَلا كُبّة اللّهَبِ المُسْتَعِرْ
وَمنْ لا يُحِبُّ صُعُودُ الجِبَالِ يَعِشُ أبَدَ الدّهرِ بين الحُفَرْ "[2]

ويقول أيضا :

ورَنَّ نَشيدُ الحَياةِ المُقدَّسُ في هَيكلٍ، حالِمٍ، قَدْ سُحِرْ
وأُعلِنَ في الكوْنِ : أنّ الطُّموحَ لهيبُ الحياةِ ، وَرُوحُ الظَّفَرْ
إذا طمَحَتْ للحياةِ النّفُوسُ فَلا بُدَّ أنْ يَسْتَجيبَ القَدَرْ! "[3]

- **قصيدة "حديث المقبرة" :**

وهي أكثر قصيدة تظهر فيها فلسفة وتأمل الشابي في الحياة والموت، وهي عبارة عن حديث فلسفي مداره الحياة والموت، والخلود والكمال ، يقول الشاعر في تقديمه لقصيدته "في ليلة مظلمة من ليالي الصيف خرج الشاعر بنفسه من القرية الصغيرة النائمة في سفح الجبل، وفي ذلك السكون الشامل

[1] –ديوان أبو القاسم الشابي , أغاني الحياة , اعداد وتقديم , أبو القاسم محمد كرّو ,ص199.
[2] –ديوان أبو القاسم الشابي , أغاني الحياة , اعداد وتقديم , أبو القاسم محمد كرّو , ص 199.
[3] –المرجع نفسه ص202.

والظلام المركوم ، أخد يمشي بين أشجار الزيتون المزهرة في مسلك منفرد، ثم اعتلى تلك الربوة الغيّرة، حيث كانت مدافن القرية وحيث ينام الموتى في صمت الدهور، وبين القبور والخرساء الجاثمة تحت أغوار النجوم حيث يتحدث كل شيء بجلال الموت وتفاهة الحياة ، جلس الشاعر بأقدام متعبة وطافت بنفسه الأحلام والأفكار والذكريات ، وتقلبت أمامه صور الموت وأمواج الحياة ، وتتابعت أمامه رسوم الأيام الكثيرة فألقاها إلى الليل في النشيد التالي[1] :

أتفنى ابتسامات تلك الجفون؟ ويخبو توهّجُ تلك الخدودْ؟

وتذوِي وُرَيْدَاتُ تلك الشفاه؟ وتهوِي إلى التراب تلك النهودْ؟

وينهدّ ذلك القوامُ الرشيق وينحلّ صدرٌ بديعٌ ، وجيدْ

وتربدّ تلك الوجوه الصّباحُ وفتنةُ ذلك الجمال الفريدْ[2]

يقول أيضا:

أَتطوَى سمواتُ هذا الوجود؟ ويذهبُ هذا الفضاءُ البعيدْ؟

وتهلك تلك النُجومُ القُدَامى؟ ويهْرَم هذا الزمان العهيدْ؟

ويقضي صباحُ الحياة البديعُ؟ وليلُ الوُجود الرهيبُ ، العتيدْ؟

وشمسٌ توشّى رداءَ الغمام؟ وبدرٌ يضيء وغيمٌ يجودْ ؟[3]

ويقول أيضا

كبيرُ على النفس هذا العفاءُ! وصعبٌ على القلب هذا الهمودْ!

وماذا على القَدَرْ المستمرّ لو استمرَأ على الناسُ طعم الخدودْ[4]

[1] – ينظر , أبو القاسم الشابي , دراسات في حياته وأدبه , بحث مقدم من طرف الطالب , فخري محمد حسين طملية ,ص 66, 67.

[2] – ديوان أبو القاسم الشابي , أغاني الحياة , اعداد وتقديم أبو القاسم محمد كرّو, , ص166.

[3] –المصدر نفسه , ص167

[4] – المصدر نفسه ,ص 168.

وهذه الأبيات تعكس رغبة الشاعر في الحياة وحبه إياها وهو مشفق عليها أن تزول وتزول معها الابتسامة العذبة ، ويخاف فناء الخدود الجميلة ، ويفزع من أن تدوى الشفاه الوردية ، وخشيته لم تقتصر على زوال المرأة الجميلة فحسب ، وهو يخشى أن يزول الصباح العذب الجميل واندثار الشمس الدافئة وهو يقرر أن هذا الفناء الشامل الذي ينتظر الكون هو شيء أعظم من أن تتخيّله النفس، ويتساءل لماذا لا يخلد الإنسان و لماذا لا تستمرّ الحياة، ثم يستمر الشاعر في تساؤلاته وتظلّ الحيرة تسربل قلبه، ويظل طمعه في الخلود يسيطر على نفسه، وقد كانت بين القبور روح فيلسوف قديم مجهول جاءت تزور جسمها الذي أصبح رملة بالية في أحشاء التراب فاستفتحت، فأشفقت على الشاعر المسكين من آلامه الروحية وأرادت أن تعلّمه الحكمة، وحاولت أن الخلود يعني السأم والجمود، وخلود النفس قاتل طموحها مغن استمتاعها بالحياة فما أحب الإنسان الحياة وحرص عليها إلا خوفا من اللحد، فإن تبدد هذا الخوف واطمأن إلى استمرار الحياة ذهبت لذتها [1]، وتقول روح الفيلسوف :

تبرّمتَ بالعيش خوف الفناء ولو دمتَ حيّا سئمتَ الخلودْ

وعشتَ على الأرض مثل الجبال جليلاً ، رهيباً، غريباً وحيدْ [2]

وتقول روحه أيضا :

فما حبّبَ العيشَ إلاّ الفناءُ ولا زانَه غيرُ خوف اللحودْ

ولوْلا شقاءُ الحياة الأليم لما أدركَ الناسُ معنى السعودْ[3]

ومع كل هذا لم يقتنع الشاعر بكلام روح الفيلسوف وظلّ يتساءل إذا لم يكن من الموت بدّ فلماذا التكالب على هذه الدنيا، ولكن روح الفيلسوف كانت أكثر إيجابية وأبلغته أننا هنا نحيا لنحاول بلوغ الكمال، نستحق الخلود خلود أفعالنا لا خلود أجسامنا [4]، يقول كذلك:

---

[1] –ينظر أبو القاسم الشابي , دراسات في حياته وأدبه , بحث مقدم من طرف الطالب , فخري محمد حسين طملية , , ص 67, 68.

[2] –ديوان أبو القاسم الشابي , أغاني الحياة , اعداد وتقديم أبو القاسم محمد كرّو , ص 168.

[3] – المصدر نفسه, ص 169.

[4] – ينظر , أبو القاسم الشابي دراسات في حياته وأدبه , بحث مقدم من طرف الطالب فخري محمد حسين طملية , ص 80

خلقنا لِنبلغ شَأوَ الكمال ونصبح أهلاً لمجد الخلودْ

وتطهرَ أرواحُنا في الحياة بنار الأسى.....[1]

ولكن مع ذلك ظلّ الشاعر في حيرة وتساؤل وتشاؤم من هذه الحياة .

وهكذا تتضح لنا النزعة التأملية الوجودية للشابي في محاولة معرفة ما هي أهمية الحياة وما مدى تكالبنا عليها، إذا كان آخرها هو الموت . [2]

- **قصيدة صلوات في هيكل الحبّ :**

وهي قصيدة موضوعها المرأة ، والشابي يعتبر المرأة مصدر إلهام الشاعر، وهي نور قدسي ونشوة روحية وموسيقى رفيعة في شهوانية الحياة ، والمرأة عنده هي الكائن المانع الذي بدونه لن يكتمل الوجود بل هي روح مشعّة بالسحر تبعث في النفس حبّ الحياة وتنثر في جوانحها روح السعادة والتقديس، هكذا يعبر الشاعر عن حبيبته المثالية [3] فيقول :

عذْبةٌ أنت كالطفولةِ كالأ ح لامِ كاللحن ، كالصباح الجديدِ

كالسماءِ الضحوك كالليلةِ القم راءِ ، كالورود، كابتسام الوليدِ

يا لها من وداعةٍ وجمالٍ وشبابٍ مُنَعّمٍ أملودِ!

يا لها من طهارةٍ ، تبعثُ التق ديسَ في مهجة الشقيّ العنيدِ!...[4]

إلى أن يقول :

أنتِ روح الربيع ، تختال في الدُّنْ يا ، فتهتز رائعاتُ الورودِ

وتهبّ الحياة سكرى من العَط رِ ، ويدْوي الوجود بالتغريدِ

كلما أبصرتكِ عينايَ تمشي نَ بخطو موقّع كالنشيدِ[1]

---

[1] –ديوان , أبو القاسم الشابي , أغاني الحياة , أبو القاسم محمد كرّو , دار صادر , بيروت ' لبنان , ط1, 1999ص 170.

[2] –ينظر المصدر نفسه, ص80

[3] – المصدر نفسه, ص 75

[4] –ديوان أبو القاسم الشابي , أغاني الحياة , اعداد وتقديم أبو القاسم محمد كرّو, ص 152.

وعلى هذا المنوال تتوالى معاني القصيدة وهي وجدانية مغرقة في الغنائية، تتجلّى مزيجا من مناجاة الحب واستلهام الطبيعة فتقرب بذلك من الإفضاء الرومانسي، أما مدارها فيتراوح بين الواقع والخيال لأنها ذات نزوع تجريدي، فيها سعي دؤوب إلى التسامي عن الكون المادي إلى المثل المطلق فهي على هذا النحو من الاستلهام كتقاسم شاعر على أوتار شاعريته الفياضة منها فنه وبها نشوته، وبين الإبداع والغمرة ابتهالات من اتخذ الحب إله والغناء معبدا [2]، وهنا النزعة الفلسفية التأملية.

[1] -المصدر نفسه , ص 153.

[2] – الصورة الفنية في التجربة الرومنسية ديوان أغاني الحياة لأبي القاسم الشابي أنمو دجا، اعداد يحياوي زكية ، 2011, ص 75.

الفصل الثالث

الفصل الثالث: دراسة مقارنة بين النزعة التأملية عند جبران خليل جبران وأبو القاسم الشابي

يعتبر جبران خليل جبران مدرسة أدبية قائمة بذاتها , وذلك لأن معظم مؤلفات كانت عبارة عن قضايا إنسانية حاول معالجتها وقدم فيها تلقينات وتوجيهات اجتماعية لأفراد المجتمع , وقد تأثر به الكثيرون ومنهم الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي , وفي هذا الفصل سنحاول عقد مقارنة بين الأديبين محاولين اكتشاف أوجه التشابه والاختلاف.

تتفق أغلب الدراسات على تأثير جبران في الشابي ولكنها تقف صامتة عند تحديد مدى هذا التأثير , وقد كان بعضهم يرى أنّ تأثير جبران في الشابي لم يتحدّ حدود التشابه في الصياغة والأداء , والحقيقة أنّ الشابي كان أخلص تلاميذ جبران وأنبغهم , والتلمذة تعني التشابه في الخصائص الفنية وفلسفة الحياة .[1]

المبحث الأوّل : فلسفة الحياة

يعتبر الحبّ والحرية والتمرّد هي إحدى العناصر البارزة التي تقوم عليها فلسفة جبران , أو مذهبه في الحياة وهي تكون مضمونه الأدبي , وينبثق منها رأيه في الحياة الشرقية وتحدّد له الأهداف التي كان يسعا إلى تحقيقها , وكما سبق فالحياة الشرقية في أواخر القرن الماضي ومطلع هذا القرن , كانت حياة غارقة في ألوان من الجمود والعبودية متخلّفة عن الركب الحضاري مستغلة من طرف الاستعمار الأجنبي , وقد أدرك شباب العرب هذه لحقيقة المرّة , فعلموا أن الحرية قوام الشخصية الإنسانية , واتجه بعضهم إلى محاربة التقاليد البالية , التي كانت تشدّ المجتمع إلى ظلمات العصور الغابرة .وفي هذا الميدان يبرز جبران فقد كان أدبه ثورة عاصفة ودعوة حارّة للنهوض وممشاة للزمان , وقد بلغت حملاته درجة العنف يقره عليه الكثيرون ممن يشفقون على المريض , وكان يرى الإشفاق أشدّ أنواع المخدرات الشائعة في الشرق ضررا , ويؤثر عليه ذي تحدثه الأدوية الناجعة , ويمعن جبران في تورثه على ببني قومه , فيكرهم لأنهم

[1]-ينظر , الشابي وجبران خليفة محمد التليسي الدار العربية للكتاب , د/بلد , ط4, 1978,ص 47

يكرهون المجد والعظمة ويحتقرهم لأنهم يحتقرون المجد والعظمة [1], ويظهر ذلك واضحا من خلال مؤلفه "عرائس المروج "الذي هو عبارة ثورة على الظلم والقهر والفراق وقهر رجال الدين فمثلا في " يوحنّا المجنون "يقول جبران على لسان يوحنا الذي هاجم فيه أحد الأساقفة " أنظر يا يسوع الناصري الجالس في قلب دائرة النور الأعلى, انظر من وراء القبة الزرقاء التي لبست بالأمس من عناصرها رداء , انظر أيها الحارس الأمين قد خنقت أشواك الوعر أعناق الزهور التي أنعشت بذورها بعرق جبينك , انظر أيها الراعي الصالح فقد نهشت مخالب الوحوش ضلوع الحمل الضعيف الذي حملته على منكبيك , انظر فدماؤك الزكية قد غارت في بطن الأرض , ودموعك السخية قد جفت في قلوب البشر ....., وأصبح هذا الحقل الذي قدسته قدماك ساحة قتال تسحق فيها حوافر الأقوياء ضلوع المنطرحين, وتنتزع أكف الظالمين أرواح الضعفاء ...."وينهي يوحنّا كلامه بقوة وغضب كبيرين حتى قبض عليه واتهمه أباه وشعبه بالجنون فأطلق صراحه , وعندئذ قال " انتم كثار وأنا وحدي , فقولوا عنّي ما شئتم , وافعلوا بي ما أردتم , فالذئاب تفترس النعجة في ظلمة الليل , ولكنّ آثار دمائها تبقى على حصباء الوادي حتّى يجيء الفجر وتطلع الشمس ".[2]

وهذه الثورة تعيد إلى الذهن ثورة الشابي على شعبه الذي كان يراه كغيره غير جدير بالحياة [3]ويظهر ذلك من خلال قصيدته " النبيّ المجهول " , التي يقوم فيها بتلقينهم تعاليمه ويصبّ عليهم غضبه ونقمته فيقول:

أيّها الشعبُ ليتَني كنتُ حطّابًا فأهْوى على الجذوعِ بفأسِي !

ليْتَني كنتُ كالسيُولِ , إذا سَالتْ تهدّ القبور رمسًا برمسِ!

ليتَني كنتُ كالرياحِ , فَأطْوَى كلّ ما يخنقُ الزهورَ بنحسِي!

1- المرجع نفسه ص 47, 48

2- ينظر الأعمال الكاملة جبران خليل جبران , قدم لها وأشرف على تنميقها , ميخائيل نعيمة , المجلد الأول , دار ومكتبة الهلال بيروت , الطبعة الأخيرة , د/س , ص 82و 85

3- الشابي وجبران , خليفة محمد التليسي ص 48

ليتَني كنْت كالشِتاء، أغْشَى كلّ ماأذبلَ الخريفُ بقرسِي [1]

وقد انتهى جبران في أدبه إلى الثورة على كل قديم , وآمن بأن "بلية الأبناء إنما تأتيهم من ميراث الأبناء , ومن لا يحرر نفسه من عطايا آبائه وأجداده يظل عبدا للأموات حتى يصير من الأموات , ومثل هذه الصرخة تحصل في ثناياها ردّ فعل على مجتمع كان يقدس الحياة الغابرة والماضية , ولما كان من أبرز مظاهر هذه الحرية , محاربة التخلّف الاجتماعي ومقاومة كل ما يعوق تحرير الشخصية الإنسانية , فقد ظهر في أدب جبران دعوة إلى احترام الحب وتقديسه , فارتفع بالمرأة في أدبه عن الحدود المادية , وعبد أمومتها , وكان تغزله بها بعيدا عن التدني إلى الأغراض الجسدية , وكان يقول " إنّ الكتّاب والشعراء يحاولون ادراك حقيقة المرأة , ولكنهم للآن لم يفهموا أسرار قلبها ومخبات صورها , لأنهم ينظرون إليها من وراء نقاب الشهوات , فلا يرون غير خطوط جسدها , أو يضعونها تحت مكبرات الكره فلا يرون فيها غير الضعف والاستسلام[2] ,ولقد وضح جبران ذلك في قصة " مرتا البانية " :تقول " مرتا" :"نعم أنا مظلومة أنا شهيدة الحيوان المختبئ في الإنسان , أنا زهرة مسحوقة تحت الأقدام ....."[3]

فنظرة جبران إلى المرأة ,كانت نظرة رفيعة فيها صوفية , وفيها رقة وفيها حنان , فيها هذا الشعور الذّي يكون عند المسيحي الذي يختلط فيه حب المرأة في نفسه بعبادة العذراء , أي النظر إلى الجمال الداخلي الروحي , يقول جبران :" إنّ أعذب ما تحته الشفاه البشرية هو لفظة الأمّ , وأجمل مناداة هي يا أمي , كلمة صغيرة مملوءة بالأمل والحبّ و الانعطاف , وكلّ ما في القلب البشري من الرقة والحلاوة والعذوبة. الأم هي كلّ شيء في هذه الحياة ....."[4]

1-ديوان أغاني الحياة , أبا القاسم الشابي , اعداد وتقديم أبو القاسم محمد كرّو, دار صادر , بيروت , ط1, 1999, ص 124.

2- ينظر الشابي وجبران , خليفة محمد التليسي , 1978,ص 49 , 50

3- ينظر الأعمال الكاملة جبران خليل جبران , قدم لها وأشرف على تنميقها , ميخائيل نعيمة , المجلد الأول ص 70

4-ينظر الشابي وجبران , خليفة محمد التليسي ص 122 و 123

ويقول أيضا :"أنا مدين بكل ما هو "أنا" إلى المرأة , منذ كنت طفلا حتى الساعة , والمرأة تفتح النوافذ في بصري , والأبواب في روحي , ولولا المرأة الأم ,والمرأة الشقيقة ,والمرأة الصديقة , لبقيت هاجعا مع هؤلاء النائمين , الذين يفسدون سكينة العالم بغطيطهم ".[1]

وذلك هو الجمال المنشود الذي كان يبحث عنه الشابي لأنه لا يهتم بالغرائز المسترسلة والخدود الموردة والشفاه الباسمة والعيون الحالمة , بل كان منصرفا إلى ما في جوانحها من معاني الأمومة والعطف والمحبة , تلك المعاني التي افتقدتها المرأة في معركة الحياة القاسية, وهي وحدها قادرة أن تردها إليه وتعيد إليها طمأنينتها , وهو يرجو أن تمنحه الأمن والراحة والعطف الروحي , وأن يعيش في ظلها [2], فهو يقول في " صلوات في هيكل الحب ":

عِيشةٌ للجمال ,والفن, والإلهامِ والطّهر,والسنىّ,والسجودِ

عِيشة الناسكِ البتولِ يُناجِي الرّبّ في نشوةِ الذّهول الشديدِ[3]

كما كان له تقديرا وتمجيدا كبيرين للمرأة , فقد كان يمثل المرأة ارتفاعا عن شوائب الجسد وسموا في النفس وبوميض انساني رائع , وهذا التمجيد الذّي نالته المرأة في شعر الشابي , ليس سوى ردّ فعل على مجتمع لا يرى فيها ما يراه هو ببداهة الشاعر الفنان , ومن معاني سامية , فأراد أن يكشف لهذا المجتمع عمّا في قلب هذه المخلوقة الضعيفة من عواطف رقيقة ومعاني نبيلة وقوّة دافعة ملهمة من طهر وجمال ورقة سماوية وسمو عظيم حتى عن الوصف[4] يقول أبو القاسم الشابي في نفس القصيدة :

أنتِ... أنتِ الحياةُ في قدْسها السـ امي ,وفي سحرِها الشجيُّ الفريدِ

أنتِ... أنتِ الحياةُ, في رقّةِ الفجرِ وفي رونق الربيعِ الوليدِ

أنتِ... أنتِ الحياةُ, كلّ أوان في رُواءٍ من الشباب ,جديدِ

1- المرجع نفسه 128

2- ينظر الشابي وجبران خليفة محمد التليسي ص 120

3- ديوان أغاني الحياة , أبي القاسم الشابي , اعداد وتقديم أبو القاسم محمد كرّو, ص154.

4- ينظر الشابي وجبران , محمد خليفة التليسي, ص 119

أنتِ الدنيا من الأناشيد والأحـ لام والسحْر والخيال المديدِ

أنتِ فوق الخيال, والشّعر, والفـ نّ وفوْق النّهَى وفوق الحدودِ

أنتِ قُدْسي, ومعبدي ,وصباحي وربيعي, ونَشْوَتي, وخلودِي [1]

ولا شك أن الشابي قد تأثر بجبران وقد كان لتأثيره هذا سوى وظيفة تقوية أثر جبران ودعمه , وهذا بحكم أن الشابي جاء بعد جبران .

والتمرّد أيضا هو صفة بارزة في فلسفة جبران , والتي كانت تهدف إلى أن تعيد للإنسان كرامته , وتعمل على تحريره من جميع القيود , ولذلك كانت حملة عنيفة موجهة إلى الكهانة , ويسلط نيران غضبه على رجال الدين سواء ذلك الإمام المسلم والقس المسيحي [2]ونلمس ذلك في الأجنحة المتكسرة التي يستعمل فيها رجال الدين سلطتهم للتفريق بين الأحبة يقول :"إنّ رؤساء الدين في الشرق لا يكتفون بما يحصلون عليه أنفسهم من المجد والسؤود , بل يفعلون كل ما في وسعهم ليجعلوا أنسباءهم في مقدمة الشعب ومن المستبدين به والمستدرين قواه وأمواله , إنّ مجد الأمير ينتقل بالإرث إلى ابنه البكر بعد موته , أما مجد الرئيس الديني , فينتقل بالعدوة إلى الأخوة وأبناء الأخوة في حياته , وهكذا يصبح الأسقف المسيحي والإمام المسلم , والكاهن البرهمي كأفاعي البحر التي تقبض على الفريسة بمقابض كثيرة , وتمتص دماءها بأفواه عديدة".[3]

وتسري إلى الشابي مثل هذه العقيدة فلا يحجم عن القول في قصيدة الدموع :

مُلِيء الدهر بالخداع , فكم ظلّلَ الناسَ من إمام وقَسِّ![4]

---

[1]-ديوان أغاني الحياة , أبا القاسم الشابي , اعداد وتقديم أبو القاسم محمد كرّو ,دار صادر بيروت , ط1, 1999, ص 153, 154.

[2]-ينظر الشابي وجبران , خليفة محمد التليسي, ص 50

[3]- جبران خليل جبران عبقري من لبنان فوزي عطوي , دار الفكر العربي , بيروت , ط1, 1989 ص 36

[4]- ديوان أغاني الحياة , أبا القاسم الشابي , اعداد وتقديم أبو القاسم محمد كرّو , ص 62

وقد أصيب الشابي كما أصيب جبران بنتائج هذه الثورة , فالتهم الأول بالخروج عن الدين واتهم الثاني بالتطرّف ومحاربة الكنيسة , وقد كان لذلك , أبلغ الأثر في إحساسهما بالغربة , في مجتمع لم يقدر البواعث المخلصة التي كان يصدران عنها , فلم تفهم أغاني نفسيتهما , فكان جبران ينشد في ألم زائد " أنا غريب في هذا العالم , وفي الغربة وحدة قاسية , ووحشة موجعة , غير أنها تجعلني أفكر أبدا , بوطن سحري لا أعرفه , وتملأ أحلامي بأشباح أرض قصته ما رأتها عيني , أنا غريب , وليس في الوجود كلّه من يعرف كلمة نفسي , أنا شاعر أنظم ما تنثره الحياة , وأنثره ما تنظمه , ولهذا أنا غريب وسأبقى غريب , حتّى تخطفني المنايا وتحملني إلى وطني ".[1]

وكان الشابي يحسّ بالغربة في بلده فلم تفهم أناشيده , يقول في , "قصيدة نشيد الأسى" :

إنيّ أنا الرّوحُ الذي سيظَلّ في الدنيا غريبْ

ويعيش مضطلعًا بأحزان الشبيبة والمشيبْ[2]

وقد انطوى تمرد هذين الأديبين على معان كثيرة , أبرزها تقديس الطموح والدعوة إلى التطوّر, حتّى لينصب جبران من نفسه حفارا للقبور يوارى الثرى كل من لا يسير مع العاصفة , وهو يلخص فلسفته في قصة " البنفسجية الطموح " , التي استبدت بها رغبة التجربة , حين أصغت إلى الحقيقة الخالدة " إنما القصد من الوجود , الطموح إلى ما وراء الوجود ", وقد كان في إيمانه بهذه الفلسفة مستهدفا محاربة الخضوع والاستسلام لفلسفة القضاء والقدر , التي كان يتميّز بها الشرقيين و التي تعوقهم عن اليقظة , وقد كان الشابي يؤمن بهذا الطموح إيمانا عميقا , وكان يبحث في شعبه عن صورة المغاور المقتحم , المتطلع إلى ما وراء الوجود , ومن هنا كانت هتافته المشهورة :

إذا الشّعْبُ يَوْمًا أرَادَ الحياة فَلا بُدّ أنْ يَسْتَجيبَ القَدَرْ

وَلا بُدّ للّيلِأنْ يَنْجَلِي وَلا بُدّ للقَيْدِ أنْ يَنْكَسِرْ[1]

1– الشابي وجبران , محمد خليفة التليسي ,ص 50, 51

2–ديوان أغاني الحياة , أبو القاسم الشابي , اعداد تقديم أبو القاسم محمد كرّو, ص 106

هذه القصيدة الخالدة التي تعلن للناس أنّ "الطموح حبيب الحياة وروح الظفر ", وشعر الشابي معرض حافل بأمثال هذه المعاني الثائرة على العيش في الظلام القديم الداعية إلى نور المستقبل , وهما يتشابهان في مصادر هذه المطية , فكلاهما انطلقت وطنيته من الاصطدام بالتخلف الاجتماعي المستسلم إلى الجمود .[2]

ويرى بعض الدارسين أنّ تأثير جبران في الشابي كان واضحا , وذلك من خلال ثورته على شعبه الذي يراه غير جدير بالحياة قوله في " إلى الشعب ":

لستَ ياشيخُ للحياةِ بأهْل أنت داءٌ يُبِيدُهَاوتُبِيدُهْ[3]

إنما هي مأخوذة من جبران القائل " والحياة عزم يرافق الشبيبة , وجدّ يلاحق الكهولة , وحكمة تتبع الشيوخ , أنا أنتم يا بني أمي فقد ولدتم شيوخا عاجزين , ثمّ صغرت نفوسكم وتقلصت جلودكم , فصرتم تتقلبون على الأوحال , وتترامون بالحجارة ".[4]

كما يراه طفلا لاعبا بالتراب , والأخطار محدقة به ويقول في " النبي المجهول " :

أيّها الشّعبُ! أنتَ طفل صغير, لاعبٌ بالتراب والليلُ مُغْسِ![5]

أما الطبيعة فهي سمة واضحة عند جبران بحيث لا تخلو قصصه من التغني بالطبيعة والغاب فقد كان جبران يصدر في تشكيل صورة الغاب عن خلفية ثقافية شاملة , فوراء هذه الصورة فلسفات الشرق والغرب , وثقافة أدبية وفنية واسعة وتجربة عميقة وموهبة ناذره , ولذلك كانت صورة الغاب في قصيدته الطويلة هذه نموذجا ورمزا للطبيعة في شعره ,وغاب الشابي صورة عن غاب جبران , فهو عالم مثالي داخلي صوفي ,هو المكان الذي تخلو منه المنغصات , والصراع وعالم الثنائيات هو اللامكان الذي

1-ديوان أغاني الحياة , أبو القاسم الشابي , اعداد أبو القاسم محمد كرّو, ص 199.

2- ينظر الشابي وجبران , محمد خليفة التليسي , ص 51, 52

3-ديوان أغاني الحياة , أبي القاسم الشابي , اعداد أبو القاسم محمد كرّو ص 211.

4- ينظر الشابي وجبران محمد خليفة التليسي ص48

5- ديوان أغاني الحياة , أبي القاسم الشابي , اعداد أبو القاسم محمد كرّو ص 125

انتقلت صورته إلى معظم شعر الطبيعة عند الشابي , ولذلك يصور غابه خاليا من أنفاس الذئاب والثعالب والقيود ,وليس فيه سوى الأزاهير والأعشاب العذبة وأناشيد النحل , وإذا كان جبران قد سبق الآخرين إلى غابه ' فتحدث لهم عن الاستحمام بالعطر والتنشف بالنور , فإنّ الشابي أيضا لم يجد الوقت الكافي ليسوق شياهه إلى الغابة أو ينتظرها , ولكنّه سبقا إليه , ثم دعاها إلى أن تتبعه لتحيا في سعادة غامرة شبيهة بسعادة أبدية[1] , يقول في " من أغاني الرعاة ":

واتبَعيني يا شياهي , بين أسراب الطيورْ

واملأي الوادي ثُغاءً, ومِراحا وحبورْ

واسمعي همس السواقي, وانشَقي عطرَ الزهورْ

وانظري الوادي يغشّيه الضبابُ المستنيرْ[2]

ويقول جبران أيضا متغنيا بالغاب في قصيدته " المواكب ":

ليس في الغابات موت لا ولا فيها قبور

فإذا النسيان وليّ لم يمت معه السرور

إنّ هول الموت وهم ينثني طيّ الصدور

فالذي عاش ربيعا كالذي عاش الدهور [3]

وهكذا يتضح لنا أن كل من جبران والشابي كان يعتبر الغاب أو الطبيعة ملجأ له للهروب من الواقع الصعب والمقيّد وكان يرى أنّ الطبيعة تبعث الحياة والأمل وتريح النفس , ولكننا نجد أنّ اللجوء إلى

1- المجموعة العربية لمؤلفات جبران , جبران خليل جبران , تعريب أرشمنديت , أنطونيوس دار صادر بيروت , لبنان , د/ط ,1964,ص 362

2- ديوان أغاني الحياة , أبي القاسم الشابي , اعداد وتقديم أبو القاسم محمد كرّو , ص284

الغاب هو صفة اتصف بها أدب جبران وتأثر به الشابي وأخدها ميزة له في شعره وذلك يعود لأن كلا الأديبين هما ذات نزعة رومنسية .

أمّا عن الحياة والموت فنرى أنّ جبران كان يتحدث عن الموت بصفة عامة وهو يراه شفاء من جنون الحياة والأفكار [1]، وهو ينظر للموت بعقل مفكر , فهو لا يتمناه ولا يخشاه مثل غيره من الشعراء , ولكنّه يقف منه تبعا لنوعية الناس , فالموت نهاية للمثقل بأوزار المادة , أما الذي تشبّع بنسائم الروح وخفت عناصره فالموت انعتاق له , وبدء لقصته الخالدة في العالم الأبدي [2]يقول جبران في مواكبه :

والموت في الأرض لابن الأرض خاتمة وللأثيري فهو البدء والظفر [3]

وعن النظر إلى الحياة فجبران يتوق إلى حياة غير هذه الحياة , حياة مليئة بالحب والسعادة والمحبة بين أفراد المجتمع والعدل وغياب الظلم والجور والفقر ويظهر ذلك من خلال تمرّده على الأوضاع الاجتماعية للشرقيين, وكذا من خلال مؤلفه الذي أثار شهرة كبيرة : النبي" والذي اعتبر فيه جبران نبي سلام ومحبة يقول في إحدى صفحاته محاولا نشر المحبة بين شعبه :" جميل أن تعطي من يسألك ماهو في حاجة إليه , ولكن الأجمل من ذلك أن تعطي من لا يسألك وأنت تعرف حاجته "[4]

ونجد أنّ الشابي قد تأثر بجبران في فلسفة الموت والحياة ولكنه كان متشائما وذلك حيث أنّ موضوع الحياة والموت كان شغله الشاغل فقد وجد نفسه دائم التفكير في تلك القضية وقد كان متألما باكيا على هذه الحياة التي تنتهي بالموت ويرى أن الحياة هي أنشودة الحزن وهي معركة طاحنة لا مكان ومقام فيها للضعيف [5], يقول في قصيدته أيها الليل ":

1- أدب المهجر , دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية في الأدب المهجري , صابر عبد الدايم , دار المعارف القاهرة , ط1, 1993 ص 444

2- ادب المهجر, صابر عبد الدايم ,ص 445

3- الأعمال الكاملة جبران خليل جبران، قدم لها وأشرف على تنميقها ميخائيل نعيمة , المجلد الثالث, دار ومكتبة الهلال بيروت, الطبعة الأخيرة , د/س, ص

4- ينظر جبران خليل جبران عبقري من لبنان فوزي عطوي , ص 53

5- ينظر الشابي وجبران خليفة محمد التليسي , ص90

إنّما الناسُ في الحياة طيورٌ قدْ رماهَا القضاء بوادٍ رهيبِ[1]

كما أنه كان يخشى الموت ويعتبره شبحا مخيفا لا يبقي على شيء من آمال الإنسانية [2], وهو يقول في نفس القصيدة :

ياشِعرُ! هل خُلِقَ المِنون بلا شعور كالجمادْ؟

لا رعشة تعرو يدَيْه إذا تملّقَه الفؤادْ ؟[3]

وهذه الرؤية للموت كانت عندما كانت آمال الشابي وأحلامه عظيمة , ولكن لما تفحل مرضه وقرب اجله تمنى الموت علّه يجد فيه راحة من هذا العالم المظلم وأنشد[4] يقول في " ظل وادي الموت":

وزهورُ الحياة تهوِى, بصمتٍ مُحْزِن, مُضجر على قدميَا ,

جَفّ سحرُ الحياة,ياقلبيَ الباكي , فهيّا, نُجَرّبِ الموت .., هيّا..![5]

وهكذا نلاحظ أنّ أبو القاسم الشابي كان متأثرا كثيرا بأفكار وفلسفة جبران خليل جبران فمعظم أفكاره استوحاها الشابي وقدمها في طابع شعري جميل فمن ثورة و صمود وتمرد ونظرة للمرأة واللجوء إلى الطبيعة والغاب والنظر إلى الحياة والموت إلا أنّ هذه الأخيرة كان الشابي متأثرا بها أكثر من جبران حيث كانت نظرته تفاؤلية للحياة و كان عدوّه الموت عوضا عن جبران الذي كان يعتبر الموت راحة من الحياة والأفكار وكان يتأمل لحياة وغد أفضل وهو لم يتعمق في الحديث عن الحياة و الخلود والموت إنما الشابي كان دائم في حيرة حول ما فائدة الحياة إذا كان آخرها هو الموت ولكن في آخر أيامه تمناها وهنا أصبح اعتقاده مثل جبران أن الموت راحة من الحياة .

المبحث الثاني : الخصائص الفنية

1- ديوان أغاني الحياة , أبي القاسم الشابي , اعداد وتقديم أبو القاسم محمد كرّو ,ص 66.

2- الشابي وجبران , خليفة محمد التليسي ,ص 91

3- ديوان أغاني الحياة , أبي القاسم الشابي , اعداد وتقديم أبو القاسم محمد كرّو, ص 49

4- ينظر , الشابي وجبران , خليفة محمد التليسي ,ص92

5- ينظر ديوان أغاني الحياة , أبي القاسم الشابي , اعداد وتقديم أبو القاسم محمد كرّو ص 173

أما الخصائص الفنية فالتشابه صفة واضحة في اتفاق الأديبين على تمجيد الفنّ والسموّ به عن الأغراض التافهة , ولعلّ جبران قد ألقى في نفس الشابي مثل هذا التقدير , فقد كان ثائرا على الهبوط بالشعر إلى الاهتمام بالتوافه الاجتماعية , وهي ثورة قام عليها صرح الأديب المهجري الذي اتخذ من الفنّ رسالة بعث وإحياء فصوّب نيرانه إلى التقاليد الأدبية التي تعنى بالبهجة اللفظية , والزخرف البديعي وآمن بأنّ نصيب الشاعر من النجاح , يحدّده رصيده الفنّي وملكته الشاعرة .

امتاز أدب جبران بقيامه على الصدق الشعوري , وانفعال الحاد , واعتماد على البساطة , وقوّة الإيحاء , وهو ذو أسلوب تصويري ينتزع صوره ومشاهده من الطبيعة , وهذه مزيّة تفرّد بها جبران , وقد أسعفته في ذلك ملكته المصورة القادرة على خلق الصور الرائعة[1] ,وأثر جبران واضح في كثير من قصائد الشابي , حيث نجد أنّ أسلوب الشابي هو أسلوب رائع وهو واضح وسهل إذ لا يعسر على المرء أن يستخرج من هذا الشعر الرائع صورا فنية فاتنة , عمل الخيال في تلونها وأبدعتها عبقرية تستقبل الحياة بأكثر من حاسة , وتستطيع أن تحس بذلك في استعاراته وتشابيهه التي تعرض على القارء في جملة قصيرة , لوحة باذخة تنسجم فيها الأضواء والضلال [2], يقول الشابي في قصيدة " تحت الغصون " :

وبنى اللّيلُ والرّبيعُ حوالَيْ نامن السّحْر والرّؤَى والسّكونِ[3]

ومن أمثلة عن التشابه في الأساليب : يقول جبران : " من يهوى النور فالنور يهواه "[4]

ويقول الشابي :

ومَنْ تَعْبُدُ النّوُر أحْلامُهُ يُبارِكُهُ النورُ أنّى ظَهَرْ[5]فالشابي تغنى بالنور وذكره مثلما تغنى به جبران , كما أنّ معنى البيت هو قريب جدا من معنى عبارة جبران وهنا يبرز هذا التأثير.

1- الشابي وجبران خليفة محمد التليسي ص 35

2-ينظر المرجع نفسه ,103, 104

3- ديوان أغاني الحياة أبي القاسم الشابي , اعداد وتقديم أبو القاسم محمد كرّو ,ص 205

4- الشابي وجبران , خليفة محمد التليسي ص 53

5- ديوان أغاني الحياة أبي القاسم الشابي , اعداد وتقديم , أبو القاسم محمد كرّو , ص 102

كما أنّ قصيدة النبيّ المجهول وماتحمله من معاني وأفكار متمردة هي ذات صلة بعيدة بأدب جبران , وبطريقة أداءه , وليس هناك أيّ شك أنّ الشابي قد أوحى بعض مقاطع هذه القصيدة من قصتين لجبران, و " بين ليل وصباح " و"خليل كافر ", وأنّ دراستهما قد عملت في ذهنه , حتّى أخرجت لنا تلك الصورة , وتقوم الكلمة الأولى لجبران على السخرية من قومه الذين تفتنهم المظاهر ويخدعهم البهرج , فيتعاملون عن الجوهر الصحيح .

" لقد أزهرت نفسي في الربيع وأثمرت في الصيف ولما جاء الخريف جمعت أثمارها في أطباق من فضة , ووضعتها على قارعة الطريق , فكان العابرون يتناولون منها ويأكلون , ثمّ يسيرون في سبيلهم , ولما انقضى الخريف وتحوّل تهاليله إلى الولولة , نظرت فلم أرى في أطباقي سوى ثمرة واحدة أبقاها الناس لي فتناولتها وأكلت , فألفيتها مرّة كالعلقم , حامضة كالحصرم ".[1]

"كانت بالأمس فكرتي سفينة تنقلب بين أمواج البحار , وتنتقل مع الأهواء من شاطئ إلى شاطئ, ولقد كانت سفينة فكرتي خالية إلا من سبعة كواكب طافحة بألوان مختلفة , تشابه ألوان قوس قزح بنظارتها , وجاء زمن مللت فيه التنقل على وجه البحار , فقلت سأعود بسفينة فكرتي الفارغة إلى ميناء البلد الذي ولدت فيه , ثم أخذت أطلي جوانب سفينتي بألوان صفراء كشمس المغيب , وخضراء كقلب الربيع , وزرقاء ككبد السماء , وحمراء كذوب الشفق وارسم على شراعها ودقتها رسوما غريبة, تجدب العين وتبهج البصرة . ولما انتهيت من عملي , وقد ظهرت سفينة فكرتي كرؤيا نبيّ تطوف بين اللاّنهايتين , البحر و السماء , دخلت ميناء بلدي فخرج الناس إلى ملاقاتي بالتهليل والتعظيم , وأدخلوني المدينة ضاربين الدفوف نافخين الزمور , فعلوا ذلك لأن خارج سفينتي كان مزخرفا بهجا , ولم يدخل أحد جوف سفينة فكرتي , ولم يسأل أحد ماذا جلبت فيها من وراء البحار , ولم يدري أحد أني عدت بها فارغة إلى الميناء , عند ذلك قلت في سري ' لقد ظللت الناس وبسبعة أكواب من الألوان , قد كذبت على باصرتهم وبصائرهم , وبعد عام ركبت سفينة فكرتي وأبحرت ثانية , ملأت سفينة فكري

[1]- الشابي وجبران , خليفة محمد التليسي ,ص 54

بنفائس الأرض وغرائبها, وعت إلى ميناء بلدي قائلا , سوف يمجدني قومي , ولكن عن جدارة , وسيدخلونني المدينة منشدين مزمرين , ولكن عن استحقاق, ولكن لما بلغت الميناء , لم يدخل أحد لملاقاتي , ودخلت شوارع بلدي , فل يلتفت إليّ أحد ووقفت في ساحاتها معلنا للناس ماذا جلبت لهم من ثمار الأرض وطرائفها , فكانوا ينظرون إليّ والضحك يملئ أفواههم والسخرية على وجوههم , ثمّ يتحولون عنّي , فعدت إلى الميناء غريبا , مستغربا, ولكنّني ما لمحت سفينتي , حتى فطنت لأمر كنت مشغولا عنه بمنازع أسفاري , ورغائبها , فهتفت قائلا , إنّ أمواج البحار قد محت الطلاء عن جوانب سفينتي فبانت كهيكل من عظام , وغفت الأرياح والأنوار وحرارة الشمس الرسوم عن أشعتها , فظهرت كأثواب رمادية بالية , لقد جمعت طرائف الأرض ونفائسها في تابوت يعوم , على وجه المياه وعدت إلى قومي فنبذوني لأن أعينهم لا ترى سوى المظاهر الخارجية ", لقد تركهم متوجها إلى مدينة الأموات مفكرا بأسرارها .[1]

أما الشابي وكونه متأثرا بجبران فقد أنشد هذه القطعة وحوّلها إلى شعر ثم ذهب إلى الغاب, يقول في "النبي المجهول ":

في صباح الحياة ضَمّخْتُ أكوابي وأترعتُها بخمْرةِ نفسي...
ثمّ قدّمتُها إليك ,فأرهقْتَ رحيقي ,ودُسْتَ يا شعبُ كأسي !
فتألّمْتُ... ثم أسكتّ آلامي, وكففتُ من شعور وحسّي
ثم نَضدْتُ من أزاهير قلب بباقةًلمْ يَمَسّها أيُ إنْسِي...
ثم قدّمتُها إليك, فمزّقْتَ ورودي, ودُسْتَها أيّ دَوْسِ
ثمّ ألبستَني من الحزن ثوبًا وبشوك الجبال توّجتَ رأسي
إنّني ذاهب إلى الغاب , يا شعـ بي لأقضي الحياة , وحدي , بيأسِ[2]

[1]- المرجع نفسه 54 , 55, 56

[2]- ديوان أغاني الحياة , أبي القاسم الشابي , اعداد أبو القاسم محمد كرّو ,ص 124, 125

ولسنا في حاجة إلى التأكيد بأنّ التغني بالغاب نغمة جبرانية , وأنّ التتويج بالشوك صورة مسيحية , وقد ذهب إلى الغاب وعاش بين طيوره وأفكاره ,وأشجاره مفكرا في أسرار الوجود .

وقد كان في ذلك شبيها ببطل العاصفة الذي كان يطلب الوحدة , لأنّ في الوحدة حياة للروح والفكر والقلب والجسد .[1]

كما يظهر أيضا هذا التأثير في تشابه الألفاظ : يقول جبران :

وما السعادة في الدنيا سوى شبح يرجى فإن صار جسما ملّه البشر [2]

ويقول الشابي في " السعادة ":

وما السعادة في الدّنيا سوى حُلُم ناءٍ تُضَحِّى له أيّامَها الأممُ[3]

ويلاحظ أنّ صدري البيتين متشابهين , وأن الشابي لم يغيّر شيء سوى اللفظ الأخير , وكذلك يبدو التشابه واضحا في عجز البيتين , وكذلك هناك تشابه في المعنى.

كما أننا نجد أنّ الشابي قد استعمل وردّد ا لعديد من الألفاظ التي استعملها جبران فمثل كلمة الليل نجدها عند الشابي في أكثر من قصيدة وهي دليل على الحزن والسكون والهدوء : يقول الشابي في قصيدة " صوت من السماء" :

في الليل ناديتُ الكواكب ساخطاً متأجّجَ الآلام والآراب[4]

ويقول أيضافي قصيدة " أيها الليل ":

أيها الليل ,يا أبا البؤسِ والهو لِ,يا!هيكل الحياة الرهيبِ![5]

كما يقول في قصيدة " الجمال المنشود ":

1- الشابي وجبران خليفة محمد التليسي ص 56

2-الأعمال الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران , قدم لها وأشرف على تنميقها ميخائيل نعيمة , مجلد 3, ص

3- ديوان أغاني الحياة , أبي القاسم الشابي , اعداد , أبو القاسم محمد كرّو ,ص 181

4- المرجع نفسه ص 189

5-المرجع نفسه ص64.

إنّ ليلَ النفوس ليلٌ مُريعٌ سرمديّ الأسى , شنيع الخلودِ[1]

وهذه الكلمة استعملها جبران أيضا في قصيدة " المواكب "يقول جبران :

وسكونُ اللّيل بحرٌ مَوْجعُهُ في مسمعَك

وبصَدرِ اللّيلِ قَلْبٌ خافِقٌ في مضْجعكْ؟[2]

كما أن الشابي استعمل كلمة " الناي " في قصيدة " النشيد الجبار "فيقول :

إنّي أنا النايُ الذي لا تنتهي أنغامه, مادام في الأحياءِ [3]

وهي كلمة أوردها جبران قبله في مواكبه يقول :

أعطِني النّايَ وغَنِّ فالغِنا خيرُ الشّراب [4]

وكذا لفظة الموت التي كانت واضحة في كثير من قصائد الشابي والتي تعرض إليها جبران سابقا

يقول الشابي في قصيدة " يا موت ":

ياموتُ! قد مزّقتَ صدري وقصمْتَ بالأرزاء ظهري [5]

ويقل أيضا :

ياموْتُ! ماذا تبتغي منّي وقد مزّقتَ صدري ؟[6]

ويقول جبران وقد سبقه في العواصف وفي مقال "مات أهلي "

مات أهلي على الصليب

ماتوا لأنهم لم يكونوا مجرمين [7]

1- 135ديوان أغاني الحياة , أبي القاسم الشابي , إعداد أبو القاسم محمد كرّو , , ص 135

2- الأعمال الكاملة جبران خليل جبران , قدمها وأشرف عليها , ميخائيل نعيمة , المجلد الأول , ص 25.

3- ديوان أغاني الحياة أبي القاسم الشابي , إعداد أبو القاسم محمد كرّو, ص 215

4- االأعمال الكاملة جبران خليل جبران , قدمها وأشرف عليها , ميخائيل نعيمة , ص 25

5- ديوان أغاني الحياة , أبي القاسم الشابي , اعداد أبو القاسم محمد كرّو , ص 118

6- المرجع نفسه , ص 119

7- الأعمال الكاملة,جبران خليل جبران , قدمها وأشرف عليها , ميخائيل نعيمة , المجلد الأول ,ص 29

ويقول أيضا في قصة " مارتا البانية "

"مات والدها وهي في المهد , وماتت أمها قبل بلوغ العاشرة "[1]

ويقول أيضا في رماد الأجيال والنار الخالدة على لسان بطلة القصة والتي فرقتها الموت عن حبيبها :

"قد نادتني الآلهة يا عريس نفسي , وجاء الموت ليفصلني عنك , فلا تجزع لأن مشيئة الآلهة مقدسة ومطالب الموت عادلة ". [2]

كما نجد أن كلا من الأديبين كان متأثرا بالغاب حيث ظهرت العديد من الكلمات الموحية بالطبيعة والغاب مثل المروج والسهول والثلوج , الطيور الينابيع , التلال الجبال , الشادي , البلبل .....الخ.

حيث أن الشابي قد افرد عناوين قصائده بكلمات موحية للطبيعة والغاب فمثلا نجد "أنشودة الرعد , بقايا الخريف , مناجاة عصفور , قبضة من ضباب , الغاب ,من أغاني الرعاة , تحت الغصون , زئير العاصفة , أيتها الحالمة بين العواصف" , وهو في ذلك متأثر بجبران حيث هذا الأخير وبالرغم أنه لم يعطي عناوين تحتوي على الطبيعة فضلا عن مؤلفه العواصف , وعرائس المروج , إلا أننا نجده في مجمل مؤلفاته فمثلا في " يوحنّا المجنون " نجده يقول "في أيام الصيف كان يوحنا يسير كل صباح إلى الحقل سائقا ثيرانه وعجوله ...مصغيا لتغاريد الشحارير وحفيف أوراق الأغصان ..."[3]

ونجده أيضا يقول في الموسيقى "الموسيقى رفيقة الراعي في وحدته , وهوان جلس على الصخرة في وسط قطيعه نفخ بشبابته ألحانا تعرفها نعاجه فترعى الأعشاب الآمنة "[4]

1- المصدر نفسه ص 61

2- المصدر نفسه ص 51

3-الأعمال الكاملة , جبران خليل جبران , قدمها وأشرف على تنميقها , ميخائيل نعيمة ص 73

4-المصدر نفسه , ص 40

إضافة إلى هذا نجد أنّ معظم قصائد الشابي تحتوي على أساليب إنشائية كالاستفهام وهذا يبدو ظاهرا في قصص جبران وهذا دليل على تأثر الشابي بجبران :

يقول جبران :في قصيدة " المواكب "

هَلْ تحمّمْتَ بِعِطرْ وتَنَشّفتَ بنُورْ

وشربتَ الفَجرَ خمرًا في كؤوسٍ منْ أثِيرْ؟[1]

ويقول أيضا في قصة يوحنّا المجنون " هل يبيع الفقير حقله منبت خبزه ومورد حياته ليضيف ثمنه لخزائن الدير المفعمة بالفضة والذهب؟ , أمن العدل أن يزداد الفقير فقرا ويموت المسكين جوعا كما يغفر اليشاع العظيم ذنوب بهائم جائعة ؟".[2]

وفي قصة " رماد الأجيال والنار الخالدة , يقول البطل :" ولكن ما هذا الحب ومن أين أتى ؟". ويقول أيضا " من أنت أيتها القريبة من قلبي , البعيدة عن ناظري ؟"[3]

ويقول أيضا في صراخ القبور : " الشريعة وما هي الشريعة , ومن رآها نازلة مع نور الشمس من أعماق السماء ".[4]

أما الشابي فيقول " في قصيدة , " السآمة":

فأيْن الأَماني و ألحانُها ؟ وأين الكؤوسُ , وأين الشرابْ؟[5]

ويقول أيضا "

ليت شعري !أيها الحبّ , قل لي: مِنْ ظلام خلقتَ, أمن ضياء؟[6]

1- المصدر نفسه ,ص 25

2-المصدر نفسه , ص 77

3-المصدر نفسه ص 56 و 55

4-المصدر نفسه ص 17

5- ديوان أغاني الحياة , أبو القاسم الشابي , اعداد وتقديم , أبو القاسم محمد كرّو, ص 55.

6-المصدر نفسه , ص 14

ويقول أيضا في فلسفة الثعبان المقدس :

أيُعدّ هذا الوجود جريمةً؟ ! أين العدالةُ يارفاقَ شبابي؟[1]

كما يقول:

أنتَ تدري أن الحياة قطو بٌ وخطوب , فما حياة القطوبِ؟[2]

وهذه التساؤلات إنما هي نزعة الفلاسفة الرومنطيقيين وهذه النزعة موجودة عند كل من جبران والشابي .

وفي الأخير وبالرغم من تأثر الشابي بجبران والذي يبدوا واضحا في العديد من المسائل , كالأفكار , من تمرد وثورة ومحبة وتمجيد للمرأة وفلسفة الحياة والموت ومن أساليب واضحة و سهلة كإعادة صياغات الفقرات الجبرانية على شكل شعر وترديد ألفاظ جبران واستعمالها في العديد من المرات وتقديم عدة تساؤلات إتباعا لجبران ,فإننا نجد أن جبران كان يحمل أفكار بين طياتها معاني دينية روحية مرتبطة بالنبي عيسى عليه السلام و بالكتاب المقدس الإنجيل كما أنه كانت لديه لهجة الأنبياء فنجده في العديد من المرات يتكلم وكأنه نبي يقدم التوجيهات والنصائح ففي كتاب النبي وفي خطابه عن الجريمة والعقاب يقول :"كثيرا ما سمعتكم تتكلمون عمن يقترف جرما بينكم , كما لو كان ليس منكم , وكما لو كان غريبا عنكم , ودخيلا عن دنياكم , ألا إنني أقول لكم إنه نظيرما يتعذر على الشرير والضعيف أن ينحدر إلى مادون الأدنى والأحط فيكم , وكما أن ورقة واحدة على الشجرة لا تصفر إلا بمعرفة الشجرة كلها , كذلك لا يستطيع المجرم أن يقترف جرما إلا بالإرادة الخفية التي هي إرادتكم كلكم...".[3]

وهذا هو وجه الاختلاف بين جبران والشابي حيث أن الشابي أفكاره ولهجته لم تكن دينية بل كانت منطقية واقعية بعيدة عن الملمس الروحي المقدس الذي نجده عند جبران , وكذلك وبما أن الشابي

1- المصدر نفسه ص 231

2 المصدر نفسه ,ص 65

3-ينظر جبران خليل جبران عبقري من لبنان , فوزي عطوي, , ص 52

كان مسلم العقيدة فقد كانت له نظرة مختلفة في الموت عن جبران فهو كان يخشاه رغم تمنيه له ل في آخر أيامه , لأنه يعلم ما بعد الموت من حساب وعقاب , ويعلم أن هذه الحياة هي امتحان للمسلمين لا غير , وهذا ما كان لا يعتقده جبران وذلك نظرا لعقيدته المسيحية , أما وجه الاختلاف البارز بين الأدبين , فهو أن جبران كان مؤلفاته عبارة عن قصص منثورة رغم وجود قصيدة واحدة , والشابي كانت معظم مؤلفاته , وإن لم نقل الكل هي عبارة عن شعر .

ولكن رغم ذلك ظلّ تأثير جبران في الشابي واضحا كثيرا , وإجمالا للقول يمكننا أن نقول أنّ النزعة التأملية لأبي القاسم الشابي وجبران خليل جبران هي متشابهة لحد بعيد رغم الاختلافات البسيطة فالشابي وجبران كما يقول خليفة التليسي في كتابه " الشابي وجبران" :المشابهة بينه وبين جبران أعظم من أن توحيها المصادفة أو وقوع الحافر على الحافر ولكنها المشابهة التي تنتجها التلمذة , تلمذة عن عكف على دراسة جبران وأدبه ".[1]

[1]-الشابي وجبران , خليفة محمد التليسي ,ص 58.

الخاتمة

ختاما وقد أتممنا بحثنا بفضل الله وعونه وتوصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها :

1-التأمّل هو احدى النزعات الوجودية الفكرية التي تقوم على توجيه التفكير نحو موضوع والاستغراق فيه بتركيز مكثف , يبعد المؤثرات الداخلية والخارجية التي تبعد الشرود والتشتّت.

2-ظهر الأدب التأملي مع ظهور الإسلام , وقد تطور مع مرور العصور .

3-تقوم النزعة التأملية على عدّة بواعث أهمها التكوين النفسي ,الغربة والتوق إلى الانعتاق من القيود المادية والنفسية و الرؤية المأساوية للحياة .

4-النزعة التأملية عند الأدباء تختلف عن تلك التي نجدها عند الفلاسفة حيث أنّ الأدباء التأمليين يتأملون في الحياة , ويبحثون عن حقيقة سعادة الإنسان , أما الفلاسفة فهم يهتمون بالكون وما أصله وكيف وجد .

5-تتمثل مميزات وسمات النزعة التأملية في أنها أرقى التجارب الأدبية وتتعاون في تكوينها قوى الإنسان العقلية والشعورية والروحية والجمالية , وتتميز بنوع خاص من الثبات والوحدة والصفاء والبعد عن الأنانية .

6-تظهر أهمية التأمل في تنظيم الذهن وفي أنها ضرورية لأجل حياة غزيرة , والتجربة التأملية في أسمى صورها ترتفع بمدارك الإنسان وتسمو بها عن التدلي إلى الأغراض الحسية التي تثيرها غرائزه الشهوانية .

7-من أهم أعلام النزعة التأملية في العصر الحديث نجد , جبران خليل جبران, نسيب عريضة , ميخائيل نعيمة , إليا أبي ماضي وأبو القاسم الشابي .

8-جبران خليل جبران هو أديب مهجري لبناني له يتميز بفكر بنزعة تأملية خالصة وهي تشتمل كل ما يتعلق بالمجتمع من مفاسد ومظالم والدعوة إلى النهوض والتغيير .

9-اعتبر جبران خليل جبران رسول محبة وسلام فقد دعى إلى نشر الحبّ والتآلف بين أفراد المجتمع و كما دعاهم إلى التمرد .

10- جبران هو ذو نزعة تأملية فيها نوع من الصوفية حيث يحاول فهم أسرار الطبيعة والوجود بالاستسلام إيماني الحدسي الروحي القلبي , لا بالاجتهاد العقلي والمنطقي أو الجدل الكلامي , وهو لم يدع إلى التقشف والزهد بل دعى إلى الانغماس في بهجة الحياة وتأمل في روعة الوجود .

11- يعدّ مؤَلف " النبي "من أهم المؤلفات التي تعنى بالتأمل والتفكر في الحياة .

12- أبو القاسم الشابي هو شاعر تونسي اتفق الكثير على الإشادة بعبقريته وبعضهم اعتبره شاعرا كاملا .

13- يعدّ الشابي من المجددين الذين يدعون إلى التجديد والتطور لمسايرة الركب الحضاري .

14- تقوم فلسفة الشابي على التمرد والإحساس الحاد بالألم والتشاؤم , والتأمل في الطبيعة والوجود ومكنوناته , والتأمل في الحياة والموت ,كما تتميز فلسفته بوطنية خالصة .

15- من خلال الفصل الثالث يظهر لنا أنّ الشابي كان تلميذا لجبران فهو تبعه وقلّده في جميع أفكاره وأساليبه الفنية , رغم الاختلافات البسيطة التي نجدها في بعض الأحيان كافتقاد شعر الشابي للملمح الديني ووجوده عند جبران , ولكن مع ذلك يبقى الشابي تلميذا لجبران .

والحمد لله الذي هذا لهذا , وماكنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

قائمة المصادر

1. أبو القاسم الشابي , أشرف معتز , دار الوضاح ودار الإسراء للنشر والتوزيع, عمان الأردن , ط1, 2005.
2. الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث , أنيس الخوري المقدسي , دار العلم للملايين , بيروت , لبنان , ط2 , 1960.
3. الأدب التأملي عند المنفلوطي , دراسة في نصوص النظرات والعبرات , وحدة أمين الجردي دار الفكر اللبناني , بيروت لبنان , ط1, 2005.
4. أدب المهجر , دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية في أدب المهجر , صابر عبد الدايم , دار المعارف , القاهرة , مصر , ط1, 1993.
5. الأعمال الكاملة لجبران خليل جبران , قدم لها وأشرف عليها , ميخائيل نعيمة , مجلد1+3, دار ومكتبة الهلال , بيروت , لبنان , الطبعة الأخيرة , د/س .
6. بين جبران ونعيمة , طنسي زكا , مكتبة المعارف , بيروت , لبنان ,د/ط 1958.
7. تاريخ الفلسفة في الإسلام , دي يور , ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة , تقديم مصطفى لبيب , , المركز القومي للترجمة , القاهرة , مصر ,د/ط , 2010.
8. التعريف بالأدب التونسي , رضوان ابراهيم , الدار العربية للكتاب , , ليبيا , تونس , د/ط , 1977.
9. التفسير النفسي للأدب , عز الدين اسماعيل , دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ,القاهرة , ط4, 1981
10. الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب الحديث , حنّا الفاخوري , دار الجيل , بيروت , لبنان , د/ط , 1986.
11. جبران خليل جبران , إطارهالحضاري وشخصيته وآثاره , خليل حاوي , عربه بإشراف المؤلف سعيد باز , دار العلم للملايين , بيروت , لبنان , د/ط , 1970.
12. جبران خليل جبران , سيرته أدبه ورسمه , جميل جبر دار الريحاني ,د/بلد , د/ط , 1958.

13. جبران خليل جبران عبقري من لبنان , د, فوزي عطوي , دار الفكر العربي , بيروت لبنان , د/ط , د/س .
14. جبران خليل جبران , ميخائيل نعيمة , مؤسسة نوفل , بيروت لبنان , ط1, 1989.
15. الخمائل , اليا أبي ماضي , دار العلم للملايين , بيروت , ط17, 1987.
16. دراسات عن الشابي , اعداد محمد كرّو , دار المغرب العربي , تونس , د/ط , د/س
17. دراسة في علم النفس الأدبي , حامد عبد القادر , المطبعة النموذجية , القاهرة الحلمية الجديدة , ط,1, د/س .
18. ديوان أغاني الحياة , أبي القاسم الشابي , اعداد وتقديم أبو القاسم محمد كرّو , دار صادر , بيروت , لبنان , ط1, 1999.
19. الشابي حياته وشعره , أبو القاسم محمد كرّو , منشورات المكتبة العلمية ومطبعتها , مكتبة الاسكندرية , مصر , ط1, 1952.
20. الشابي وجبران , خليفة محمد التليسي , الدار العربية للكتاب , د/بلد , ط4, 1987
21. الشعر العربي في المهجر , محمد عبد الغني حسن , مكتبة الخانجي , القاهرة ,مصر , د/ط , 1955.
22. الشعر والتأمل , روستريفور هاملتون , ترجمة مصطفى بدوي , مراجعة سهير قلماوي , المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر , مصر , ط1, 1993.
23. في الميزان الجديد ,محمد منذور , نشر مؤسسات عبدالله , تونس , ط1, 1988.
24. قامس المحيط ,ج1,مجد الدين فيروز أبادي , مطبعة السعادة مصر , د/ط,د/س.
25. لسان العرب , ابن منظور , ج1, دار صادر , بيروت , د/ط , 2003.
26. مختارات سائرة من روائع الأدب , أنيس الخوري مقدسي , دار العلم للملايين , لبنان , ط5, 1981.

27. المجموعة العربية لمؤلفات جبران خليل جبران , تعريب الأرشمندريت , أنطونيوس دار صادر بيوت , لبنان , د/ط , 1964.

المجموعة الكاملة , جبران خليل جبران , تقديم الدكتور جميل جبر , , دار الجيل , بيروت , لبنان , , د:ط , د/س .

28. النزعة الإنسانية عند جبران خليل جبران , عدنان السكيك , الهيئة المصرية العانة للتأليف والنشر , , مصر , د/ط , 1970.

29. النزعة الروحية في أدب جبران ونعيمة , الدكتورة ريموند قبعين , دار الفكر اللبناني , لبنان , د/ط , د/س .

المذكرات الجامعية :

1–أبو القاسم الشابي , دراسات في حياته وأدبه , بحث مقدم من طرف الطالب محمد حسين طملية 1973, 1974, جامعة الأزهر ,كلية اللغة العربية , الدراسات العليا الأدب والنقد .

2–الصورة الفنية في التجربة الرومنسية , ديوان أغاني الحياة لأبي القاسم الشابي , أنمو دجا, مذكرة لنيل شهادة الماجستير, اعداد يحياوي زكية , اللجنة المناقشة , د ,شتوان بوجمعة , د, محمد المهدي بوطارن ,د, عشي نصيرة , د,عيقون خالد , جامعة مولود معمري , تيزي وزّو , 29 ماي 2011.

3–مظاهر الرومنسية في شعر أبي القام الشابي , عبد الحميد أحمدي |" إضاءات نقدية, فصلية محكّمة "السنة الأولى , العدد الرابع , شتاء 1390ش ,كانون الأول 2011.

الدوريات .

1–جبران خليل جبران فيلسوف حياة وليس عقل , جورج الفار , جريدة الغد , 21 فبراير 2013.

2–جبرلان خليل جبران وموقفه من الدين , حسين ربجير , خريج الجامعة الإسلامية في كرج , ديوان العرب , منبر حر للثقافة والفكر , الثلاثاء27 تموز , 2010.

الفهرس

الفهـرس

- مقدمة.....أ، ب
- **مدخل:** ماهية النزعة التأملية.....1-17
- **الفصل الأول:** النزعة التأملية عند جبران خليل جبران
- **المبحث الأول:** جبران خليل جبران، سيرته الذاتية والأدبية 19-34
- **المبحث الثاني:** ملامح من فلسفة جبران ونظراته التأملية.....35-42
- **الفصل الثاني:** أبو القاسم الشابي وتأملاته الفلسفية.
- **المبحث الأول:** سيرته الذاتية والأدبية 44-56
- **المبحث الثاني:** أبو القاسم الشابي وأدبه التأملي.....57-67
- **الفصل الثالث:** دراسة مقارنة بين النزعة التأملية عند جبران والشابي
- **المبحث الأول:** فلسفة الحياة 69-78
- **المبحث الثاني:** الخصائص الفنية.....79-87
- الخاتمة.....89-90
- قائمة المصادر والمراجع.....91-93

عريبة عتيقة

ORIBA ATIKA

النزعة التأملية بين خليل جبران و أبي القاسم الشابي

Tendance Contemplative entre KHALIL JABRAN ET ABI EL KASIM ECHABBI

ملخص:

يروم هذا البحث إلى الوقوف عند أوجه التأثير والتأثر بين الكاتبين جبران خليل جبران وأبو القاسم الشابي، لاستخلاص السمات الفنية في أشكال الكتابة لديهما، من حيث توظيف معجم متشابه يرتكز على حقول دلالية تتصل بالطبيعة والوجدان والتأمل. وذلك لملامسة النزعة الإنسانية التأملية عند هذين الكاتبين.

الكلمات المفتاحية: الفكر، الوجدان، الرومانسية، الأدب، الاستبطان، التأمل، جبران خليل جبران، أبو القاسم الشابي.

Résumé :

Ce mémoire a essayé de tenir sur les aspects influençant et influencés entre les deux auteurs : Gibran Khalil Gibran et Abou el Kacem Chebbi, pour un extract des caractères esthétiques dans leurs types d'écriture, comme l'emploi d'un lexique similaire qui base sur des champs sémantiques accordés par la nature, le sentiment et la méditation. Et tous ça pour toucher l'objectif humaine méditatif selon ces deux auteurs.

Les mots clés : la pensée, le sentiment, le romantisme, la littérature, l'introspection, la méditation, Gibran Khalil Gibran, Abou el Kacem Chebbi.

Abstract :

This memory has tried to hold on aspects influencing and influenced between the two authors: Gibran Khalil Gibran and Abou el Kacem Chebbi, to extract an aesthetic characters in their writing types, such as the use of a similar lexicon base on semantic fields granted by nature, feeling and meditation. And all that to touch the human meditative objective that these two authors.

Keywords : thinking, feeling, romance, literature, introspection, meditation, Gibran Khalil Gibran, Abou El Kacem Chebbi.